الافتراق العقدي

في الأمة الاسلامية أسبابه ومظاهره

إعداد الدكتور

د. عبدالله علي احمد دنيا

المدرس بقسم العقيدة والفلسفة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بالسادات

للعام الجامعي

١٤٤٦/٢٠٢٤م

الافتراق العقدي في الامة الاسلامية مظاهره وأسبابه

عبدالله علي احمد دنيا

قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات، جامعة الأزهر، مدينة السادات، مصر.

البريد الإلكتروني AbdullahDunya33@ azhar.edu.eg

ملخص البحث

من البين الواضح ان الافتراق العقائدي المشاهد في أمة الإسلام، قدر كوني دلَّ على ثبوته الشرع؛ والوجود في الواقع، وحدث ذلك في هذه الأمة كما حدث في الأمم السابقة وقد اخبرنا بذلك الصادق المصدوق في حديث الافتراق، فهو أمر واقع ومشاهد لا يمكن إنكاره، ولا يمكن رفعه، ولكننا مطالبون بالاجتماع وسد أبواب الفرقة بقدر الاستطاعة، وهذه وصية شرعية يجب القيام بها قال تعالى(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ))[الأنعام:١٥٣].هذا وقد حذر الإسلام من الفرقة والافتراق، لأن الافتراق يبث الحقد والكراهية بين الأطراف المتحزبة، فكل طرف يتربص بخصمه الدوائر، لإضعافه والإيقاع به، تحقيقا لمكاسب حزبية واجتماعية وسياسية، باستخدام مختلف الوسائل الممكنة، جاعلا الأخوة الإسلامية في مواجهة تحد خطير، وقد بين الإسلام مخاطره على الإمة كلها قال تعالى (وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)الأنفال:٤٦، وما تسلط علينا الأعداء إلا بسببه، وما هنا على أنفسنا الا بعد أن تشتتنا وتشرذمنا، وتعد أسباب هذا الافتراق ومظاهره كثيرة، لاسيما في عصرنا الذي كثرت فيه البدع وأعطيت الحريات والمنابر لكل ذي هوى، فينبغي على كل مسلم غيور على دينه وأمته أن يسعى حثيثاً لدرء أسباب ومظاهر الافتراق والاختلاف، وذلك بالتمسك بمنهج السلف الصالح، والالتفاف حول علماء الأمة وعلى رأسهم علماء أزهرنا الشريف، والصدور عن رأيهم فيما فيه صلاح الإسلام والمسلمين.

ومن ثم فقد ركز الباحث على قراءة واقع الافتراق بدقة ومعاينة مظاهره واحصاء نتائجه على قدر المستطاع، باعتبارها الهدف من وراء هذا البحث. والله ولي التوفيق

الكلمات المفتاحية: [الافتراق، الاختلاف، العقيدة، الفرق، الأمة، الاسلام]

its ،nation Islamic the in division Doctrinal causes and manifestations

Abdullah Ali Ahmed Donya
Arabic and Islamic of Faculty ،Philosophy and Doctrine of Department
.Egypt ،City Sadat ،University Al-Azhar ،Girls for Studies
Email: AbdullahDunya33@azhar.edu.eg

Abstract

It is clear that the doctrinal division observed in the Islamic nation is a universal phenomenon that has been proven by Sharia; And the existence in reality, and it happened in this nation as it happened in the previous nations, and the Truthful, the Trusted informed us of that in the hadith of division, so it is a reality and witnessed that cannot be denied, and it cannot be removed, but we are required to unite and close the doors of division as much as possible, and this is a legitimate commandment that must be carried out, as God Almighty said (And that this is My path, which is straight, so follow it and do not follow other paths, for they will separate you from His path. This He has enjoined upon you that you may become righteous) [Al-Anaam: 153]. Islam has warned against division and division, because division spreads hatred and malice between the partisan parties, as each party lies in wait for its opponent to weaken him and bring him down, in order to achieve partisan, social and political gains, using various means. Possible, making the Islamic brotherhood face a serious challenge, and Islam has shown its dangers to the entire nation, God Almighty said (And do not dispute and [thus] lose courage and your strength departs) Al-Anfal: 46, and the enemies did not prevail over us except because of it, and we did not prevail over ourselves except after we were scattered and fragmented, and the reasons for this separation and its manifestations are many, especially in our era in which innovations have increased and freedoms and platforms have been given to everyone with a desire, so every Muslim who is jealous of his religion and his nation should strive diligently to ward off the reasons and manifestations of separation and disagreement, by adhering to the approach of the righteous predecessors, and rallying around the scholars of the nation, headed by the scholars of our noble Al-Azhar, and issuing their opinion in what is good for Islam and Muslims. Therefore, the researcher focused on reading the reality of separation accurately and examining its manifestations and counting its results as much as possible, considering it the goal behind this research. And Allah is the Grantor of success

Keywords : Islam ،Nation ،Sects ،Belief ،Difference ،Separation

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمدﷺ الذي بعثه الله عز وجل إلى العرب وهم متفرقون متناحرون، فجمعهم به؛ ووحدهم على هدف واحد نبيل وهو توحيد الأرض جميعها تحت راية العدل والإيمان، وامتن الله عز وجل على نبيه بهذا حيث قال له: ﴿**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [الأنفال٦٣]، وسار الصحابة من بعده رضوان الله عليهم أجمعين على هديه في التجميع والاتحاد حتى تسنى لهم فتح ثلثي الكرة الأرضية في فترة زمنية وجيزة من موت النبي ﷺ، وأصبحت راية الإسلام الخفاقة ترفرف على معظم أراضي المعمورة، فقد خرجوا من قارة أسيا ووصلوا إلى المحيط الاطلسي غربا ثم صعدوا إلى قارة أوروبا واقتطعوا جزءا كبيرا من شرقها وغربها تحت راية التوحيد ووطنوا الاسلام فيها إلى أجل ليس ببعيد، وهنا فطن الاعداء إلى أهمية الوحدة وتأثيرها عليهم فعملوا على تمزيق هذه الوحدة وإشاعة الفرقة بين صفوف المسلمين، فحولوا دولتهم الواحدة المترامية الاطراف إلى دويلات متناحرة فيما بينها ونشروا في مجتمعاتهم أسباب الفساد والانحراف، وبدلوا شريعتهم الواحدة بقوانين مختلفة، وتشريعات وضعية متباينة، ثم أدخلوا آراء واجتهادات ما أنزل الله بها من سلطان، إلى غير ذلك من الأسباب التي ساهم فيها البعض ممن باع دينه وأمته وكان عوناً للأعداء، فكانت النتيجة هذا التباعد المخيف، والفرقة المحزنة على مستوى الدول والمجتمعات والجماعات، بل والأسر والعائلات، فعلى المسلمين أن يبتعدوا عن العداوة والبغضاء والفرقة والاختلاف والهجر لغير مقصود شرعي، والشحناء والقطيعة، فهذا ما يريده الشيطان منهم قالﷺ: «**إن الشيطان قد أيس أن يعبده**

المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم»(١)، فلم يزل عدو الله إبليس يحرش بين المسلمين ويوغر صدورهم ويوسوس لهم ويلقي في قلوبهم العداوة والبغضاء والحسد والتهاجر والتقاطع والتنافر والتناحر حتى وصلت الأمة الإسلامية إلى ما وصلت إليه من العداوة والبغضاء والاختلاف والتفرق شيعًا وأحزابًا: ﴿**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ [المؤمنون: ٥٣]، وهذا ما يريده أعداء الإسلام منهم حتى تضعف شوكتهم وتذهب قوتهم ومعنويتهم، كما قال تعالى: ﴿**وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾[الأنفال: ٤٦]، وهذه هي سياسة الأعداء على حد قولهم: «فرق تسد».

ولذلك أرجو من وراء هذه الدراسة أن تحقق أهدافًا طيبة في خدمة الإسلام، وفي كسر حدة الخلافات التي مزقت المسلمين وفرقتهم إلى فرق وأحزاب. وتهدف الدراسة أيضا إلى جمع كلمة المسلمين، ولفت أنظارهم إلى مواقع الخلاف فيما بينهم، ليبعدوا عما وقع فيه أسلافهم، فإن الرجوع إلى الحق أولى من التمادي في الباطل، ولا يحتاج المسلمون لجمع كلمتهم وإعادة مجدهم وعزهم وانتصارهم على جحافل الكفر والطغيان إلا إلى العودة الصادقة والنية الخالصة، فإن الأسس التي قام عليها عز الإسلام والمسلمين فيما سبق لا تزال كما هي قائمة قوية معطاءة على مر الزمان– كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

أسباب اختيار الموضوع:

١– تذكير المسلمين بما كان عليه أسلافهم من العزة والكرامة والمنعة حينما كانوا يداً واحدة، وقلباً واحداً.

٢– لفت أنظار الشعوب إلى الحال الذي يعيشونه، ومدى ما لحقهم من الخسارة بسبب تفرقهم.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان (٤/٢١٦٦)، وانظر: المسند لأحمد: رقم: ٢٠٦٩٥.

٣- توجيه الأمة الإسلامية إلى الوحدة فيما بينهم، وذلك بالتركيز على ذم التفرق وبيان مساوئه، وبيان محاسن اتحاد المسلمين وجمعهم على طريق واحد.

٤- رصد الحركات والأفكار التي يقوم بها الخارجون عن الخط السوي والصراط المستقيم؛ لتعرية دورهم في تفريق وحدة الأمة الإسلامية، وجلاء حقيقتهم للتحذير منهم، وبيان ما يقومون به من خدمة تلك الأفكار وترويجها، ذلك أنه ما من بلاء فيما سبق من الزمان إلا وهو موجود اليوم في وضوح تام فلكل قوم وارث.

٥- معرفة ما يطرأ على العقيدة الإسلامية الصحيحة من أفكار وآراء هدامة مخالفة لحقيقة الإسلام وبعيدة عن طريقه الواضح.

المنهج المستخدم في الدراسة:

الحديث عن التفرق يستلزم عدة مناهج منها: المنهج التاريخي فيما كان له الطابع التاريخي من البحث، ثم المنهج التحليلي الذي يظهر عند تحليل الآراء، واستخدمت المنهج المقارن عند الحاجة لمقارنة الآراء والحجج مع بعضها.

خطة البحث:

قد قمت بترتيب البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة: فتحدثت فيها عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره ومنهج البحث، وخطته.

وأما التمهيد: فتكلمت فيه عن مفهوم الفرقة والاختلاف ثم وضحت الفرق بين الاختلاف والافتراق.

المبحث الأول: خصصته لحديث الافتراق.

المبحث الثاني: تكلمت فيه عن تاريخ الافتراق في الإسلام.

المبحث الثالث: تحدثت فيه عن أسباب تفرق الأمة الإسلامية.

المبحث الرابع: فقد وضحت فيه مظاهر وآثار الافتراق على صعيد الأمة الإسلامية.

التمهيد

مفهوم الفرقة والاختلاف

كلمة (الفرقة) من حيث مدلولها اللغوي تدل على الاختلاف والافتراق فهي من المفارقة أي المباينة والمفاصلة والانقطاع، ومنه الخروج عن الأصل والخروج عن الجماعة، قال ابن منظور: {الفَرْقُ خلاف الجمع فَرَقه يَفْرُقُه فَرْقاً وفَرَّقه، وقيل فَرَقَ للصلاح فَرْقاً وفَرَّق للإفساد تَفْريقاً وانْفَرَقَ الشيء وتَفَرَّق وافْتَرقَ، وفارق الشيء مفارقة وفراقاً: باينه، والاسم الفرقة وتفارق القوم : فارق بعضهم بعضاً، وفارق فلان امرأته مفارقة: باينها، والفرق والفرقة والفريق الطائفة من الشيء المتفرق والفرقة طائفة من الناس، والفريق أكثر منه} والتَّفرُّق والافتراق سواء، ومنهم من يجعل التفرق للأبدان، والافتراق فى الكلام، يقال: فرقت بين الكلامين فافترقا، وفرَّقتُ بين الرجلين فتفرقا[1]. إذا فمن حيث اللغة فإن (الفرقة) تعني طائفة من الناس، ولابد أن يكون هناك شيئ يجب أن يميز هذه الطائفة عن غيرها، كأن تكون ذات مقالة أو مذهب أو رأي مختلف.

أما من حيث الاصطلاح فالفرقة هي مجموعة من الناس دعيت إلى معتقد معين[2]، بحيث عرفت به وتميزت به عن غيرها. ويمكن القول إن هذا المصطلح من حيث مدلوله الاصطلاحي ألصق (بالعقيدة) أكثر من غيرها، ولا يدل في معظم الأحيان على الافتراق في فروع الدين، ولذلك نقول: فرقة الجهمية أو فرقة المعتزلة؛ لأن خلاف أهل السنة مع هذه الفرق كان بالمعتقد، في حين أننا نطلق مصطلح (مذهب) على الشافعية أو الحنفية، ولا يصح أن نقول (فرقة الشافعية) أو (فرقة الحنفية)؛ لأن الخلاف بين المذاهب كان في فروع الدين لا في أصوله. فمن

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر – بيروت ، مادة فرق: ٢٩٩/١٠.

(٢) تاج العروس، محمّد بن محمد مرتضى، الزَّبيدي، دار الهداية/ج٢٦/٢٩٠

هنا يمكن القول ان تعريف العلماء لمصطلح (الفرقة) له علاقة بالمغزى الاعتقادي لهذه الطائفة المتعينة، وقد كان ابن حزم(ت٤٥٦هـ) أكثر دقة من غيره عندما فرّق بين مصطلح (الفرقة) الذي يشمل المسلمين وغيرهم، وبين مصطلح (النحلة) إذ أنه استعمل المصطلح الأخير للدلالة على فرق المسلمين –أو بتعبيره– نحلهم، في أكثر دقة وموضوعية؛ لأن فيها دلالة على الانتحال: وهو نسبة القول إلى غير قائله، ومنه انتحل فلان شعر فلان، وكأنه يعني اعتقاد الشيء والتمسك به وهو على باطل، وقد تبع الشهرستاني(ت ٥٤٨هـ) ابن حزم في استعمال هذا المصطلح للتفريق أيضاً بين المسلمين وغيرهم، فسمى كتابه (الملل والنحل).

أما عبد القاهر البغدادي (ت٤٢٩هـ) فقد تمسك بمصطلح الفرقة وإليه يشير كتابه (الفَرْق بين الفِرق) لتعميمه على فرق المسلمين، وقد يكون منحى البغدادي في ذلك هو أنه لم يجعل في كتابه مقالات لغير المسلمين، فاكتفى بإطلاق هذه التسمية عليه، وفي فعل البغدادي موضوعية يحمد عليها، وجمع محمد بن عمر الرازي (ت ٥٤٤هـ) بين فرق المسلمين والمشركين، فسمى كتابه (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين).

ويمكننا القول أخيراً إن مؤلفات المسلمين في حقل الفرق والملل لا تعطينا تصوراً دقيقا لتحديد الإطار الدقيق لهذه الكلمة، ولكن يمكن القول إنها من حيث المضمون لها معنى مشترك متفق عليه؛ يعتمد على البعد العقائدي للكلمة من جهة، وعلى الغلو في تعميمها من جهة أخرى.

الفرق بين الاختلاف والافتراق:

هناك كثير من الناس خاصة بعض الدعاة وبعض الشباب الذين لم يكتمل فقههم في الدين، بل وبعض العلماء لا يفرقون بين مسائل الخلاف ومسائل الافتراق، وقد سمعت أحدهم يذكر في التلفاز أن ما بيننا وبين الشيعة ماهي الا بعض الاختلافات، ومن هنا كان لابد من ذكر بعض الفروق بين الاختلاف والافتراق:

الأول: أن الافتراق غالبا يكون بعد العلم بالبينات كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾[آل عمران: ١٩]، ﴿**وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ**﴾ [آل عمران: ١٠٥]}.

الثاني: أن الافتراق أشد أنواع الاختلاف، بل هو من ثمار الخلاف، إذ قد يصل الخلاف إلى حد الافتراق وقد لا يصل، فالافتراق اختلاف وزيادة، لكن ليس كل اختلاف افتراقاً.

الثالث: أن الافتراق لا يكون إلا على أصول كبرى من أصول الدين التي لا يسع الخلاف فيها، والتي ثبتت بنص قاطع أو بإجماع، أو استقرت منهجاً عملياً لأهل السنة لا يختلفون عليه، فما كان كذلك فهو أصل، ومن خالف فيه فهو مفترق، أما ما دون ذلك فإنه يكون من باب الاختلاف.

الرابع: أن الاختلاف قد يكون عن اجتهاد وعن حسن نية، ويؤجر عليه المخطئ ما دام متحرياً للحق، والمصيب أكثر أجراً، وقد يحمد على الاجتهاد أيضاً، أما إذا وصل إلى حد الافتراق فهو مذموم كله، بينما الافتراق الذي لا يكون عن اجتهاد ولا عن حسن نية فصاحبه لا يؤجر عليه بل هو مذموم، وهو لا يكون إلا عن ابتداع أو عن اتباع هوى.

الخامس: أن الافتراق يتعلق به الوعيد والهلكة، أما الاختلاف فليس كذلك مهما بلغ الخلاف بين المسلمين في أمور يسع فيها الاجتهاد، أو يكون صاحب الرأي المخالف له مسوغ، أو يحتمل أن يكون قال الرأي المخالف عن جهل ولم تقم عليه الحجة، أو عن تأول ولا يتبين ذلك إلا بعد إقامة الحجة.

السادس: الاختلاف يعذر صاحبه إذا كان مجتهداً والافتراق لا يعذر صاحبه، لأنه لا يكون إلا عن اتباع هوى أو ابتداع أو تقليدٍ مذمومٍ.

المبحث الأول: حديث الافتراق

روى الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجة، والحاكم، وابن حبان، وأبو يعلى الموصلي، وابن أبي عاصم، وابن بطة، والآجري، والدارمي، واللالكائي أن النبي ﷺ قال: **(افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة)**(١)، وهذا الحديث مشهور عن النبي ﷺ، وقد صححه جمع من أهل العلم، كالترمذي، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، والذهبي، والسيوطي، والشاطبي، وأيضاً للحديث طرق حسنة كثيرة جدًا بمجموعها تصل إلى حد الجزم بصحته وفي رواية (وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي، وفي بعض الروايات :هي الجماعة) وفي رواية:(على ثلاث وسبعين ملة) وفي رواية: (قالوا: يا رسول الله من الفرقة الناجية؟ قال: (من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي) وفي رواية:(هي الجماعة، يد الله على الجماعة).

وقد ضعفه الشوكاني، ونقل تضعيفه عن ابن حزم(٢) الا أن الإمام الذهبي قال عن ابن حزم: أنه رأس في علوم الإسلام متحر في النقل حافظ، بيد

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٥٩٦) في السنة، باب شرح السنة، والترمذي رقم (٢٦٤٠) (٢٦٤٢) في الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، وقال الترمذي: حديث أبي هريرة حسن صحيح، وفي الباب عن سعد، وعبد الله بن عمرو، وعوف بن مالك. وأخرجه أحمد (٣٣٢/٢) قال: حدثنا محمد بن بشر. وأبو داود (٤٥٩٦) قال: حدثنا وهب بن بقية، عن خالد. وابن ماجة (٣٩٩١) قال:حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. قال: حدثنا محمد بن بشر. وسنن الدارمي السير (٢٥١٨) والحاكم في المستدرك ١٢٨/١ والطبراني (٧٢٤) والآجري في الشريعة ص ٢٥.

(٢) الفتح الرباني، محمد بن علي الشوكاني، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء – اليمن،ج١ ص٢٠٦.

أن غلب عليه علم المنطق ولم يكن عنده الدراية الكافية كالمحدثين(١).

وقد تكلم عنه الشيخ محمد محي الدين عبدالحميد في مقدمة تحقيقه لكتاب الفرق بين الفرق فيقول: يقف العلماء الذين صنفوا في علم الكلام أو في (الملل والنحل) من هذا الحديث ثلاثة مواقف، فأما أحدها فألا يتعرضوا له بنفي ولا إثبات، ومن هؤلاء شيخ أهل السنة والجماعة الإمام أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري الذي صنف كتابه مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ومنهم الإمام المحقق فخر الدين الرازي، المتوفى فى سنة ست وستمائة من الهجرة ، وهو صاحب كتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » فقد ألف كل منهما كتابه من غير أن يعرض لهذا الحديث، وأما الثانى فجماعة تعرضوا له ولم يصححوه فلم يأخذوا به، ومن هذا الفريق ابن حزم الفقيه الظاهري صاحب كتاب (الفصل في الملل والنحل) فقد أعان عن عدم صحة هذا الحديث، بل حكم بضعفه، وأما الفريق الثالث فقد تعرض لهذا الحديث وأخذ به وحاول أن يحصر الفرق التي نجمت تحت ظلال الإسلام في ثلاث وسبعين فرقة إحداهن ناجية وهي أهل السنة والجماعة، ومن هذا الفريق الإمام المتكلم النظار أبو منصور البغدادي صاحب كتاب (الفرق بين الفرق) ومنهم الإمام الحجة أبو المظفر الإسفرائيني صاحب كتاب (التبصير في الدين) الذي يحذو فيه حذو أبي منصور البغدادي في تبويبه وتقسيمه، فلا يكاد يخالفه ، ومنهم أبو المعالى محمد الحسينى العلوى صاحب كتاب (بيان الأديان) ومنهم القاضي عضد الدين عبد الرحمن ابن أحمد الأيجي (ت٧٥٦هـ)؛ فقد صدر عقيدته التي اشتهرت باسم (العقائد العضدية)–نسبة إليه– بهذا الحديث وشرح في كتابه هذا مقالات الفرقة الناجية من هذه الفرق الثلاث والسبعين. والحق أن أصول الفرق لا يصل إلى هذا العدد، بل إنه لا يبلغ نصفه ولا ربعه، وأن فروع الفرق

(١) سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ج١٨ص٢٠١. (بتصرف)

يختلف العلماء في تفريعها، وأنت في حيرة حين تأخذ في العد، بين أن تعتبر فى عدك الفرق أصولها أو فروعها، وإذا استقر رأيك على اعتبار الفروع فإلى أي حد من التفريع أنت آخذ في اعتبارك، وفي الحق أنه – على فرض صحة الحديث – لا ينحصر الافتراق فيما كان في العصور الأولى، ومن قبل أن يدوّن هؤلاء العلماء الأعلام مصنفاتهم، بل لا يزال الأمر يسير على المنهج الذي سار عليه أول الأمر، من أجل ذلك كله رأينا أن الأخذ بهذا الحديث على ظاهره ومحاولة إيجاد هذا العدد من الفرق من أهل القرون الثلاثة الأولى التي جاء في أعقابها هؤلاء المؤلفون؛ قصور وتقصير وقصر نظر(١).

وأظن أن أفضل من تكلم عن هذا الحديث –على حد علمي– هو الشيخ رشيد رضا في مجلة المنار حيث قال: وأما الحديث الوارد في الافتراق، فقد رواه غير واحد من الحفاظ منهم أحمد وأبو داود والترمذي، وهو في الجامع الصغير بلفظ (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين) رواه أحمد عن أبي هريرة. أقول: ورواه الترمذي عنه بلفظ (تفرقت)، ثم قال: في الباب عن سعيد وعبد الله بن عمرو وعوف بن مالك حديث حسن صحيح، حدثنا محمود بن غيلان حدثنا أبو داود الجفري عن سفيان عن عبدالرحمن بن زياد الأفريقي عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله (ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل؛ إلى أن قال وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: (ما أنا عليه وأصحابي) هذا حديث حسن غريب، مفسر لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه، ا.هـ كلام الترمذي. فهذه الرواية التي تعين الفرقة الناجية بشيء من القوة في إسنادها عبد الرحمن ابن زياد الإفريقي راويها؛ وهو قاضي إفريقية، قال فيه الإمام أحمد: ليس

(١) الفرق بين الفرق بتصرف / البغدادي / مطبعة صبيح بالقاهرة ص ٧

بشيء نحن لا نروي عنه شيئًا، وقال النسائي ضعيف في الثقات، ولما نقل الذهبي عنه هذا القول قرنه بقوله: (فأسرف)، وروي بأسانيد أضعف من هذه وأوهى، فالرواية إذًا لم تخل من طعن فيها. ورواه الحاكم في صحيحه، وما انفرد الحاكم بتصحيحه لا يسلم من مقال أيضًا، ولكن قال في المقاصد: إن الحديث حسن صحيح يعني: بزيادة كلهم في النار إلا فرقة واحدة. **وجملة القول أن تعدد طرق الحديث، يقوي بعضها بعضًا على طريقتهم المتبعة في ذلك**، وأظن أنه لا تسلم رواية منها عن طعان أو مقال، كما قال ابن شهاب خلافًا لمن اعتمد تصحيح الحاكم لبعضها، وكلها مشكلة مخالفة للأحاديث الصحيحة كما يأتي. وأما معنى الحديث بصرف النظر عن سنده؛ فهو أن الفرقة الناجية هي الفرقة التي تتبع السنة التي كان عليها النبي ﷺ وأصحابه؛ أي سنة السلف الصالح قبل ظهور البدع، وهؤلاء هم الجماعة قلوا أم كثروا، وهم لا ينحصرون في هذا الزمان بأهل مذهب معين من المذاهب المعروفة(١).

ويلفت الشيخ رشيد نظرنا إلى شيء هام وهو الكم الهائل من هذه الأمة الإسلامية الذي سيدخل النار بناء على مفهوم الفرقة الناجية، مع ورود أحاديث أخرى تفيد أنهم أكثر من نصف أهل الجنة حيث يقول: (والإشكال في قوله كلها في النار إلا واحدة، فمن المعلوم أنهم خير الأمم وأن المرجو أن يكونوا نصف أهل الجنة، مع أنهم في سائر الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض حسبما صرحت به الأحاديث، فكيف يتمشى هذا؟ فبعض الناس تكلم في ضعف هذه الجملة، وقال: هي زيادة غير ثابتة، وبعضهم تأول الكلام بأن الفرقة الناجية صالحوا كل فرقة، وهو كلام منتقض؛ لأن الصلاح

(١) مجلة المنار/مجلد١٣/ص٨٨٣

إن رجع إلى محل الافتراق، فهم فرقة واحدة لا أفراد من الفرق، وإن رجع إلى غير ذلك فلا دخل له؛ لأن الكلام أنهم في النار لأجل الافتراق، وما صاروا به فرقًا(١).

أما الانشغال بتعيين الفرق فهو تكلف وتجاوز، ولذلك لم ينشغل العلماء الذين تعرضوا لهذا الحديث بتحديد الثلاث والسبعين فرقة، واكتفوا بالمعنى الإجمالي للافتراق، وإثبات حصوله في الأمة من حيث الجملة، ولم يبحثوا في تحديد عدد تلك الفرق؛ لأن ذلك بحث في أمر مجهول، وتكلف وقول بالظن، وباب من أبواب الفرقة بين المسلمين، وإنما ذكروا جذور تلك الفرق، ومن ثم يعرض الشيخ رشيد بمن تكلف في تقصي الفرق وبيان تعدادها حيث يقول: ثم إن الناس صنفوا في هذا المطلب، وأخذوا في تعداد الفرق؛ ليبلغوا بها إلى ثلاث وسبعين، ثم يحكم كل منهم لنفسه ومن وافقه بأنه الفرقة الناجية... ومن المعلوم أن ليس المراد ألا يقع منها أدنى اختلاف، فإن ذلك قد كان في فضلاء الصحابة، إنما الكلام في مخالفة تُصَيِّر صاحبها فرقة مستقلة ابتدعها... والإنصاف أن كلاً منهم قد اخترع ما لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة رضي الله عنهم... فتعين الفرق، وتعدادها فرقة فرقة، وأنها هي التي أراد رسول اللهﷺ مما لا سبيل إليه البتة، إنما تكلموا فيها خبطًا وجزافًا، سهل لهم ذلك وجرأهم عليه البدعة الأولى التي خالفوا بها السنة(٢).

ويتعرض الشيخ إلى التفرق بين المذاهب في أمور الأصول والفروع فيقول: أما التفرق في المذاهب؛ فقد ضعف بقلة المذاهب وجهل المنتسبين إليها بها وقلة انتفاعهم بعصبيتها، وتوجه كثيرون منهم إلى علوم وآداب أخرى غريبة عنها فلم يبق أمامنا فرق كبيرة يذكرون بلقب مذهبي إلا الإمامية الزيدية من الشيعة، والإباضية من فرق الخوارج، والوهابية من فرق أهل السنة وكانوا يسمون الحنابلة

(١) السابق/ص٨٨٤.

(٢) مجلة المنار/مجلد١٣/ص٨٨٦.

ومعظم النزاع بينهم وبين الأشعرية، وقد تلاشى لقب أشعري وماتريدي من غير الكتب، وأما الخلاف في الفروع فألقاب المذاهب فيه محفوظة، ولا يعرف الجماهير من المذاهب التي ينتسبون إليها إلا قليلاً من المسائل التي يخالفون فيها غيرهم؛ كقنوت الشافعية في الصبح وسدل المالكية أيديهم في الصلاة، وقد بقي لكل مذهب في الأصول والفروع طائفة من المنقطعين إلى تعلمها وتعليمها يتعصبون لها؛ لأنها مورد معيشتهم ومصدر جاههم، فهم الآن دعاة التفريق وأنصاره، ولكن حوادث الزمان ستمحق هؤلاء بإظهار دواعي الألفة والوحدة ومضرات التفرق، فيكون المؤمنون إخوة متحابين، لا يمنعهم من ذلك الاختلاف في بعض المسائل الدينية، بل يكون كالخلاف في المسائل العلمية والعادية(١). وندعو الله أن يحقق ما تمناه الشيخ ولكن الواقع جاء على خلافه.

ويشدد الشيخ رشيد على عدم التغني بالقوميات ونبذ التعصب فيها أيضا فيقول: وأما التفرق باختلاف اللغة والجنس والوطن فله في العصر دعاة من المتفرنجين؛ هم أشد آفة وفتنة من دعاة التفرق بالمذاهب؛ لأنهم يتغلبون على المناصب وأعمال الحكومة ومصالحها؛ بميل الحكومات إلى تقليد الإفرنج في كل شيء، حتى صار في مسلمي مصر من يفتخر بالفراعنة وإن كان فيهم من لعنه الله، وكلهم في الوثنية واستعباد البشر سواء، ومن الفُرْس من يفتخر بسلفه من المجوس، بل ترى بعض الشعوب التي لا يعرف لها سلف مدني له آثار في العلوم والفنون قبل الإسلام أشد عصبية للصنف واللغة من الشعوب التي لها سلف في ذلك، فيجب على علماء الإسلام الأعلام أن يتحدوا ويتعاونوا في جميع البلاد الإسلامية؛ لكبح شر هؤلاء، وتحقيق الوحدة الإسلامية التي جعلت المسلمين كلهم إخوة، حتى تسنى بها لعتيق حبشي أسود أن يعتقل أميرًا قرشيًا فاتحًا بعمامته في مكان سلطانه وسؤدده أمام الناس، ويقوده بها إلى المحاسبة على ما أنفق من مال

(١) السابق/ص٨٨٧.

الأمة ، ذلك العتيق الحبشي هو بلال رضي الله عنه، وذلك الأمير هو سيد بني مخزوم سيف الله ورسوله خالد بن الوليد رضي الله عنه(١).

وينبه الشيخ إلى أهمية اللغة العربية في نبذ التفرق وتوحيد الأمة وعدم التعصب، لزيادة الأخوة الاسلامية فيقول: إن الوحدة الإسلامية الدينية الأدبية التي ينشدها المصلحون تتوقف على تعميم لغة الإسلام بين جميع الشعوب الإسلامية؛ إذ لا تآلف بغير تعارف، ولا تعارف بغير تفاهم، ولا يسهل التفاهم بين المسلمين إلا بلغة دينهم المشتركة بينهم، وهي العربية التي لم تعد خاصة بالعنصر العربي بالنسب، كما أن الإسلام ليس خاصًّا به، وعلى تعارف علماء المسلمين وتعاونهم بالجمعيات العلمية الأدبية والجرائد على توحيد طريقة التعليم الديني والاجتماعي، وقد أنشأوا يشعرون بهذه الحاجة لحياتهم، وسيكون العمل قريبًا إن شاء الله تعالى. أما افتراق الأمة الإسلامية فهو واقع بالفعل، ولكن لا يوجد دليل من القرآن ولا من الحديث يدل على اليأس من اتفاقهم في الأمور العامة والإخوة الإسلامية والتعاون على مقاومة من يعاديهم كلهم، وعلى ما ينفعهم كلهم، وإن ظلوا مختلفين في كثير من المسائل؛ بأن يكونوا في اختلافهم على هدي السلف الصالح في عذر بعضهم لبعض واتقاء التكفير والعدوان(٢).

أما إذا أردنا تحديد الفرقة الناجية في هذا الحديث –على افتراض صحة الجملة– فقد اختلفت فيها أقوال العلماء، فقد ذكر فيها الإمام الشاطبي في كتابه الاعتصام خمسة أقوال، عزاها إلى قائليها من الصحابة وكبار التابعين والعلماء، إلا قولاً واحداً لم يعزه، وهو أضعفهم، وهي كالتالي(٣):

---

(١) مجلة المنار/مجلد١٣/ص٨٩٠.

(٢) السابق/مجلد١٣/ص٨٩٣.

(٣) الاعتصام/ إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي/ تحقيق: سليم بن عيد الهلالي دار ابن عفان، السعودية/ط١ – ١٩٩٢م/ج٢ص٧٧ وما بعدها.

١- المقصود بها عامة الناس، حيث يقول: اختلف الناس في معنى الجماعة المرادة في هذه الأحاديث على خمسة أقوال أحدها: أنها السواد الأعظم من أهل الإسلام..... فعلى هذا القول يدخل في الجماعة مجتهدو الأمة، وعلماؤها، وأهل الشريعة العاملون بها، ومن سواهم داخلون في حكمهم، لأنهم تابعون لهم ومقتدون بهم.

٢- يقصد بها العلماء والمجتهدون: وهم الأعلام من أئمة الهدى المتبعين للكتاب والسنة، قال الشاطبي فمن خرج على علماء الأمة مات ميتة جاهلية.

٣- يقصد بها الصحابة على وجه التخصيص، قال الشاطبي فعلى هذا القول فلفظ الجماعة مطابق للرواية الأخرى، في قوله عليه الصلاة والسلام: "ما أنا عليه وأصحابي" فكأنه راجع إلى ما قالوه، وما سنوه، واجتهدوا فيه حجة على الإطلاق، وبشهادة رسول الله لهم بذلك خصوصا في قوله: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين» وأشباهه، أو لأنهم المتقلدون لكلام النبوة، المهتدون للشريعة، الذين فهموا أمر دين الله بالتلقي من نبيه مشافهة، على علم وبصيرة بمواطن التشريع وقرائن الأحوال، بخلاف غيرهم: فإذا كل ما سنوه فهو سنة من غير نظير فيه، بخلاف غيرهم، فإن فيه لأهل الاجتهاد مجالا للنظر ردا وقبولا.

٤- معناها جماعة أهل الإسلام: إذا أجمعوا على أمر وجب على بقية أهل الملل اتباعهم. ولا أدري ما الفارق بين ذلك القول والأول والثاني حتى أن الشاطبي نفسه يعزوه اليهما فيقول: وكأن هذا القول يرجع إلى الثاني وهو يقتضي أيضاً ما يقتضيه، أو يرجع إلى القول الأول وهو الأظهر. أقول: هذا القول شاذ لأن الأمة تفرقت إلى فرق، والمقصود تحديد الفرقة الناجية، ولذلك فإسقاط هذا القول أولى، لا سيما وأن الشاطبي لم يذكر قائله.

٥- أنها النخبة من جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير وجب على بقية الأمة لزومه. قال الشاطبي: والخامس ما اختاره الطبري الإمام من أن الجماعة جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير، فأمر عليه الصلاة والسلام بلزومه ونهى عن فراق الأمة فيما اجتمعوا عليه من تقديمه عليهم، لأن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة، وذلك ظاهر في أن الاجتماع على غير سنة خارج عن معنى الجماعة المذكورة في الأحاديث المذكورة، كالخوارج ومن جرى مجراهم.

ويمكننا تلخيص هذه الأقوال الأربعة بأن المقصود بالجماعة الناجية أمران:

الأول: جماعة المعتقد، وذلك بأن يلتزم المسلم ما كان عليه النبي وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين، من أمور الاعتقاد وأصول الدين، وهذا هو الأصل والأساس، مع الأخذ في الاعتبار مستجدات الأحداث.

الثاني: أنها الجماعة –بالمعنى السياسي– وذلك بلزوم جماعة المسلمين التي لها إمام موافق للشرع، وعدم مفارقتها، وعدم نكث بيعة الإمام فضلاً عن الخروج عليه.

وبعد هذا العرض يمكننا القول إن هذا الحديث يعد علامة من علامات النبوة، حيث أخبر فيه الرسول بأمر غيبي، وقد حصل افتراق الأمة إلى فرق كثيرة بعد وفاة الرسول فوقع كما أخبر. **وأرى أن المقصود الأبرز لهذا الحديث ليس بيان العدد ولا إلقاء الفرق في حمم السعير بحجة التكفير؛ ولكن للتحذير من التفرق والاختلاف في أصول الدين وعقائده،** وضرورة الاتباع والاجتماع على ما اجتمع عليه الناس في عهد رسول الله من العقائد السليمة، والطرائق القويمة، فلا يصلح أن يتحول هذا الحديث إلى وسيلة لتفريق للأمة، وذلك بأن تزعم كل فرقة بأنها الفرقة الناجية، وأن ما سواها في النار، فهذا سوء فهم للحديث النبوي، فالحديث لا يستلزم التكفير لفرق الأمة ، والحكم الوارد في الحديث على الفرق بأنها في النار قد يستند عليه البعض للتكفير على حسب هواه، وهذا من ضعف العلم بنصوص

السنة، فقوله صلى الله علي وسلم: "كلها في النار" –لو صحت الجملة– فهي من جملة نصوص الوعيد التي وردت في الكتاب والسنة، وإن كانت بعض الفرق قد ابتدعت بدعا مكفرة كالمجسمة وغيرهم، ولكن التكفير لمجرد الافتراق ليس له مستند من هذا الحديث ولا من غيره –فتوعد أهل الافتراق والبدع بالنار لا يستلزم كفرهم– بل هو انحراف خطير في التعامل مع عموم المسلمين، فأقصى ما نستطيع قوله أن لهم حكم أهل الوعيد من أهل الكبائر والمعاصي من هذه الأمة ؛ الذين لهم حكم الإسلام في الدنيا، ويدخلون تحت مشيئة الله تعالى في الآخرة، فإن شاء غفر لهم، وإن شاء عذبهم ثم مآلهم إلى الجنة. فالافتراق واقع حتماً، وهو أمر حتى لو لم يشهد به الواقع، وتشهد به العقول، فهو ثابت عنه ﷺ من طرق وألفاظ عديدة؛ ولذلك ورد التحذير منه، وإذا كثر التحذير دل على أن الأمر واقع أو سيقع وهذا هو أمثل الأقوال في هذه المسألة، والله أعلم."

المبحث الثاني: تاريخ الافتراق في الإسلام

ليس من الضروري في هذا البحث الموجز أن أتكلم عن تاريخ الافتراق تفصيلاً، لكني سأسرد بعض الأحداث التي أدت إلى التشرذم والتي مرت على الأمة الإسلامية منذ بدايتها حتى وصلنا إلى ما نحن عليه الآن، فمنذ بعثة النبي ﷺ واستقرار دولة المدينة لم يحدث أن وجدت فرقة بين المسلمين على المعنى المعهود للكلمة في حياة النبي ﷺ، اللهم إلا بعض الأحداث الصغيرة والتي وأدها النبي في بدايتها.

[١] فعلى المستوى الجدل الكلامي أو العقائدي فقد أخرج الطبراني وغيره:

عن ثوبان قال: اجتمع أربعون من الصحابة ينظرون فى القدر والجبر فمنهم أبو بكر وعمر فنزل الروح الأمين جبرائيل فقال: يا محمد اخرج على أمتك فقد أحدثوا فخرج عليهم فى ساعة لم يكن يخرج عليهم فيها مثلها، فأنكروا ذلك وخرج عليهم ملتمعا لونه متوردة وجنتاه كأنما تفقأ بحب الرمان الحامض فنهضوا إلى رسول الله ﷺ حاسرين أذرعهم ترعد أكفهم وأذرعهم فقالوا تبنا إلى الله ورسوله فقال أولى لكم إن كدتم لتوجبون، أتانى الروح الأمين فقال اخرج إلى أمتك يا محمد فقد أحدثت(١).

وكان النبى ﷺ يستغل كل موقف لغرس قيمة الوحدة ونبذ فكرة التفرق والتشرذم فمن ذلك ما رواه النسائي في السنن الكبرى من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال خط لنا رسول ﷺ خطا وخط عن يمينه خطا وخط على يساره خطا ثم قال: هذا سبيل الله ثم خط خطوطا فقال: هذه سبل كل سبيل منها شيطان يدعو إليه وقرأ: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[١٥٣الانعام]، ففي هذا الحديث

(١) أخرجه الطبراني في " الكبير " (١٤٢٣) وللحديث روايات كثيرة اكثر صحة منه ولكني آثرت هذه الرواية لأنها تصف المعنى المراد بدقة

النبوي الشريف أسلوب تعليمي بلاغي عظيم يعتمد على التصوير الحسي الملموس لتفهيم الناس وخصوصا العامة، حيث خط النبي ﷺ على الارض خطا مستقيما وقال هذا سبيل الله وهنا يظهر الابداع البلاغ في تحويل المعنى المجرد إلى صورة بصرية واضحة ترسخ المفهوم في أذهان السامعين، فالخط المستقيم يمثل صراط الله القويم وهو تعبير عن الوضوح والاستقامة التي تخلو من الالتواء مما يعكس كمال الدين، ووضوح واستخدام كلمة (سبيل) بدل من (طريق) يضيف دلالة رمزية تتعلق بالسير المستمر في طاعة الله عز وجل، وتكرار كلمة خط يعكس كثرة السبل المتفرقة في مقابل الخط المستقيم الوحيد مما يشير إلى تعدد طرق الضلال وتفرد طريق الهداية، واختتم رسول ﷺ حديثه بتلاوة قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾ [الأنعام: ١٥٣] ليؤكد ان البيان النبوي مستمد من الوحي الإلهي، وهذا الاقتباس القرآني يضفى على الحديث بعدا إعجازيا؛ حيث يُظهر التوافق بين البيان النبوي والتوجيه القرآني مع تلميح بلاغي يدعو إلى **الوحدة والابتعاد عن الفرقة**، ويرشدنا الحديث الشريف عن الوعي واليقظة في اختيار الطريق الذي نسير فيه، ويحذر من المغريات والشهوات التي تحيط بنا اليوم سواء كانت مادية أو فكرية أو أخلاقية خاصة مع كثرة الدعوات المضللة. وعلى كل حال، فإنه كان لتعاليم القرآن الكريم وتوجيهات النبي أثرها في نفوس المسلمين، إذ وجهتهم إلى الاتحاد والألفة، وكرهت إليهم الجدال في أصول الدين حتى لا تتفرق كلمتهم، ويذهب ريحهم، وعلى ذلك مضى رسول الله والمسلمون على عقيدة واحدة لم يقع بينهم خلاف حولها، لأنهم أدركوا زمان الوحي، وشرف صحبة النبي، وأزال نور الصحبة عنهم الشكوك والأوهام(١). حيث كان القرآن الكريم وكان الرسول عليه السلام يلبيان حاجات الأمة ، اعتقادية

(١) في الفلسفة الإسلامية وصلتها بالفلسفة اليونانيه/ د. محمدنعيم،عوض الله حجازي/دار الطباعة المحمدية بالقاهرة/ ط٢ ص٣٦٨ .

كانت أو تشريعية أو خلقية، وكانت الأسئلة تتري موجهة إلى الرسول فيجيب عنها الوحي القرآني تارة، وتجيب عنها أحاديث الرسول تارة أخرى، وأسئلة المجتمع إذ ذاك لم تكن تنته عند حد، وكانوا يسألونه في كل صغيرة وكبيرة، فقد سألوه عن الله تعالى، وعن الأزل، وعن الإيمان والإسلام، وعن القدر، والروح، والساعة، والخمر والميسر، والأنصاب والأزلام ....، إلى غير ذلك من الأسئلة التي كانت تجول في أذهانهم(١). وبذلك كان رسول الله هو المرجع في إزالة الحيرة من نفس الحائر، حيث كان المسلمون يسألونه مستفسرين، والمخالفون لدينه يسألونه معارضين ومتعنتين ومجادلين، وكان الرسول يجيب على حسب ما يقتضيه المقام، ولكن الرسول كان يكره المراء في الدين، والجدل بين المسلمين، وفي هذا المعنى رويت أحاديث كثيرة، بعضها صحيح، وبعضها حسن، وبعضها ضعيف، ولكنها في جملتها تثبت هذا المعنى، بحيث لا تدع للشك مجالاً في موقف الرسول بالنسبة للجدل بين المسلمين في مسائل الدين، ولا شك في أن نهى النبي عن الجدال والمراء في الدين لم يكن يقصد به التحكم والمحاجزة عن أمر يمكن أن يدرك الحق فيه، وإنما كان يقصد به المحافظة على العقل، والخوف عليه أن يقع في الهلاك، إذ أنه يبحث في أمور هي أعلى من طوره، ومهما سما فلن يستطيع بحكم طبيعته المحدودة أن يصل إلى اليقين في مثل هذه المسائل، وقد فهم المسلمون الأوائل ذلك جيداً، ورأوا أن التناظر والتجادل في الاعتقاد يؤدي إلى الانسلاخ من الدين، فقرروا عقائد الدين كما هي في القرآن والسنة المقطوع بهما في الجملة والتفصيل، وفي هذا يقول الدكتور عوض الله حجازي:(فهم الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين – ما جاء في القرآن الكريم عن الله تعالى فهماً تلجت به نفوسهم، واطمأنت إليه أفئدتهم، لذا فقد سكتوا عن الكلام في الصفات، ولم يفرق أحداً منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل، وإنما أثبتوا الله تعالى الصفات التي جاء بها

(١) التفكير الفلسفي في الإسلام/ د. عبدالحليم محمود / ط٢ دار المعارف ص٦٩.

القرآن الكريم مع نفي مماثلة المخلوقين ، فأثبتوا ذلك بلا تشبيه، ونزهوا من غير تعطيل، ولم يتعرض أحد منهم إلى تأويل شيء ، ورأوا بأجمعهم إجراء الصفات كما وردت)(١).

بيد أنه كانت هناك مجادلات بين الرسول وبين من لم يتبعه سواء أكانوا مشركين أم أهل كتاب، وكانت هذه المجادلات تدور في صميم الأمور الخاصة بالعقيدة، كما أن التساؤل والجدل كان يلح على بعض المسلمين في عصر الرسالة، وكان يبذر بذوره في البيئة الإسلامية منذ فجرها الأول، إلا أن دواعي الجدل لم تكن متوفرة لديهم في فترة حياتهم مع الرسول، إذ كانوا في مرحلة النقاء والصفاء ومصدر الوحي قائم بين ظهرانيهم يرجعون إليه متى يشاءون، فإذا لجأوا إلى التنازع والجدل لغير حاجة كان ينهاهم الرسول كما أسلفنا، لذا فإنه لم يكن ليعرض عن الأسئلة التي كانت توجه إليه، بل كان يجيب عليها إذا لم تظهر عليها سمة الجدل والمراء والعناد، وهذا يعني أن الرسول لم يكن يمنع البحث في الأمور العقائدية مطلقاً، وإنما كان يمنعها إذا جاءت في صورة الجدال والمراء، وفي هذا – كما يقول ابن القيم – رد على من زعم أن الصحابة لم يكونوا يخوضون في دقائق المسائل، ولم يكونوا يفهمون حقائق الإيمان، بل كانوا مشغولين بالعمليات، وفيه – أيضاً – دليل على أنهم كانوا يوردون على رسول الله ما يشكل عليهم من الأسئلة والشبهات، فيجيبهم عنها بما يثلج صدورهم، وقد أورد عليه الصلاة والسلام الأسئلة أعداؤه وأصحابه، أما أعداؤه فكانوا يوردونها على سبيل التعنت والمغالبة، وأما أصحابه فكانوا يوردونها للفهم والبيان وزيادة الإيمان،

(١) في الفلسفة الإسلامية وصلتها بالفلسفة اليونانية/ د. محمدنعيم،عوض الله حجازي/دار الطباعة المحمدية بالقاهرة/ ط٢ ص ٣٦٨

وهو يجيب كلاً عن سؤاله، إلا ما لا جواب عنه، كسؤال عن وقت الساعة مثلا(١).

[٢] **وأما على مستوى الجدل السياسي أو النزاع القتالي** فقد أورد ابن إسحق وابن جرير وابن المنذر وغيرهم في سبب نزول قوله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [ال عمران: ١٠٣]، عن زيد بن أسلم قال: مرَّ شاس بن قيس ـ وكان شيخاً قد عسا في الجاهلية، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم ـ على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم، يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد، والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتى شاباً معه من يهود، فقال: اعمد إليهم فاجلس معهم، ثم ذكرهم يوم بعاث، وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج، ففعل فتكلم القوم عند ذلك، وتنازعوا وتفاخروا، حتى تواثب رجلان من الحيين على الرُّكب، أوس بني قيظى أحد بني حارثة من الأوس، وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج، فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه، إن شئتم والله، رددناه الآن جذعة، وغضب الفريقان جميعاً، وقالوا: قد فعلنا، السلاح السلاح، موعدكم الظاهرة ـ والظاهرة الحرة ـ فخرجوا إليها، وانضمت الأوس بعضها إلى بعض، والخزرج بعضها إلى بعض، على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى

(١) زاد المعاد/ ابن القيم/مطبعة الحلبي/ج٣ ص٥٧.

جاءهم، فقال: يا معشر المسلمين الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ أبعد إذ هداكم الله إلى الإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألف به بينكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً؟ فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان، وكيد من عدوهم لهم، فألقوا السلاح، وبكوا، وعانق الرجال بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ، سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس، وأنزل الله في ذلك الآيات من سورة آل عمران(١).

ومن المحتمل أيضا انه كانت هناك أحداث مثل ذلك أو أقل شأنا منها حدثت على عهد النبي ﷺ ولكنها لم تنقل أو لم أعثر عليها، ومن ذلك ما روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنَّا في بيتٍ فيه نَفرٌ مِنَ المهاجرين والأنْصارِ، فأقْبلَ علينا رسول الله ﷺ، فجعل كلُّ رجلٍ يوَسِّعُ رجاءَ أنْ يجْلسَ إلى جَنْبِه، ثُمَّ قامَ إلى البابِ، فأخذَ بعَضادَتَيْهِ، فقال: "الأئمَّةُ مِنْ قرْيشٍ، ولي عليكُم حقٌّ عظيمٌ، ولَهُمْ ذلك؛ ما فَعَلوا ثلاثاً: إذا استُرْحِموا رَحِموا، وإذا حكموا عَدلوا، وإذا عاهَدوا وَفَوْا، فَمنْ لَمْ يفعلْ ذلك منهُمْ؛ فعليهِ لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجْمعين"(٢).

فمن المؤكد ان لهذا الحديث سببا للورود سواء عرفه الراوي ولم يذكره، أم لم يعرفه. ولكن ما يهمنا هنا أن كل فتنه كانت تثار على عهد النبي ﷺ كان يئدها، ولا يسمح أبدا باتساع رقعة الخلاف بين المسلمين أو فرقتهم كما حدث في صلح الحديبية مثلا.

وظل الحال هكذا فترة حياة النبي صلى الله عليه حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى. وبعد موت النبي ﷺ قامت الفتنة التي كادت تقضي على الاسلام جملة

---

(١) انظر الدر المنثور للسيوطي: ٥٧/٢ ـ ٥٨.

(٢) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني والطيالسي. انظر: مسند أحمد، ١٢٩/٣، حديث ١٢٣٢٩ و ١٨٣/٣، حديث ١٢٩٢٣. مسند أبي يعلى، ٩٤/٧، حديث ٤٠٣٢ وحديث ٤٠٣٣. الطبراني: المعجم الكبير، ٢٥٢/١، حديث ٧٢٥. مسند الطيالسي، ٢٨٤/١، حديث ٢١٣٣.

وهي فتنة الردة، وقيد الله لها أبا بكر الصديق رضي الله عنه فاستأصلها من جذورها، بل بعث المسلمين لفتح البلاد المجاورة، وبذلك انشغل المسلمون مدة من الوقت بهذه الفتوحات حتى قامت الفتنة الكبرى بعد مقتل الخليفة الثالث رضي الله عنه وأرضاه. ولم يحدث الافتراق إلا بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وحينما حدثت تلك الفتنة خرجت فرقة الخوارج بعد التحكيم وفرقة الشيعة كرد فعلا لها، أما في عهد الخليفتين أبي بكر وعمر، بل حتى في عهد عثمان لم يحدث افتراق إلا بعد موته(١).

ولا يظن ظان أن الصحابة غفلوا أو جهلوا أو أنهم لم يتنبهوا لمسائل الافتراق لقد قاوموه، سواء كان أفكاراً أو عقائد أو مواقف وأعمالاً، بل وقفوا ضد الافتراق أشد الوقوف، وأبلوا في ذلك بلاء حسناً بحزم وقوة، لكن أمر الله لابد أن يقع وخصوصا بعد التنازع السياسي الذي فتح باب الافتراق على مصرعيه يقول **الدكتور سليمان دنيا:** ويظهر أن يداً أجنبية لعبت دوراً في تعكير صفو الجماعة، وكانت مسألة الخلافة، الشرارة الأولى التي اندلعت منها نار الخلاف، وتبعها خلاف على مسائل أخرى، ولم يك في وسع أحد من المختلفين أن يعلن رأيه في

(١) يرى الدكتور جميل تعيلب في كتابه لمحات من تاريخ الفرق ص٦ ان هناك كثير من المصنفين، يحاول استقصاء ما حدث من خلافات بعد وفاة النبي، ويعدوا ذلك اختلافاً، ونشوء تفرق، مثل ما حدث في مسألة غسل النبي، وتكفينه، وفي مكان دفنه، ثم الخلاف على من يلي أمر المسلمين، وعلى ميراثه إلى غير ذلك. يرى أن كل هذه الخلافات طبيعية، ولا أثر لها في اختلاف أو فرقة بين جماعة المسلمين. وهي بمسائل الفقه أقرب. ومن العلماء الذين ذكروا هذه الخلافات " الإمام الأشعري " في كتابه " مقالات الإسلاميين ". ج١. ص ٣٤. وما بعدها. تحقيق: الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد. طبعة: المكتبة العصرية. بيروت. سنة ١٤١١هـ / ١٩٩٠م. والبغدادي في كتابه الفرق بين الفرق. ص ١٤ وما بعدها. تحقيق: الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد. طبعة: المكتبة العصرية. بيروت سنة ١٤١١هـ / ١٩٩٠م. والإمام الشهرستاني في كتابه الملل والنحل. انظر: جـ١. ص١٣ وما بعدها عليه الشيخ أحمد فهمي محمد. طبعة دار السرور. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨م.

أمر بما دار حوله الخلاف، مجردًا من الصبغة الدينية التي توحى بأن صاحبه إنما يطالب به تطبيقاً لمبادىء الدين، لا تحقيقاً لمآرب شخصية، فالدين كان مصدر الجماعة و موردها، وهمها وشاغلها؛ حتى الدخلاء الذين اندسوا وسط للمسلمين متظاهرين بأنهم منهم، وبيتوا أمرهم فى خفاء بغية القضاء على الإسلام، في بداية أمره؛ طلعوا على الجماعة بأرائهم التى أرادوا بها إهلاك المسلمين، مصبوغة بصيغة الدين(١).

وبات كل يدلي برأيه في أمور الدين والعقيدة والسياسة وغيرها "وإذا كان الخوارج قد سبقوا غيرهم في القول بالخروج على الإمام ونفي اشتراط أن يكون من قريش وتجاوزهم هذا المعنى إلى تكفير الإمام بالمعصية أو القعود عن أمر في كتاب الله دون أمر آخر؛ فإن عقيدتهم هذه كان لها من ردة الفعل المعاكس ما كان. وخاصة نظريات الشيعة المختلفة في عقيدتهم نحو على وبنيه، وخاصة طائفة الغلاة منهم، وذلك أن الشيعة لم يكونوا أكثر من رد فعل مضاد لجنوح الخوارج وتطرفهم في تكفير معارضيهم وعلى رأسهم سيدنا علي، فكان من اليسير أن يظهر المدافع عنه المرتبط به، وأن يسلك نفس المنهج المتطرف، فمقابل التكفير لعلي ومن انضوى تحت لوائه من جانب الخوارج ظهرت فكرة التأليه لعلي وأبنائه بواسطة الشيعة الغلاة"(٢).

وبجانب هاتين الفرقتين وجدت فرقة ثالثة عرفت في التاريخ باسم المرجئة وهي الطائفة التي أرجأت أمر المختلفين إلى الله تعالى، فإنهم لما رأوا الخوارج يكفرون

---

(١) التفكير الفلسفي الإسلامي، الدكتور سليمان دنيا،ص٣٢٥مكتبة الخانجي بمصر توزيع مكتبة الرشاد بالدار البيضاءبالمغرب،ط١ ،١٩٦٧م

(٢) دراسات في الفرق، د. صابر طعيمة، مكتبة المعارف بالرياض ، ط ١٤٠٧هـ. ص ١٤٧

علياً وعثمان، وبعض الشيعة يكفرون أبا بكر وعمر وعثمان؛ ظهرت المرجئة تسالم الجميع وتقف منهم موقف الحياد فلا تكفر طائفة منهم(١).

ثم بعد ذلك ظهرت بدعة القول بالقدر، وأول من قال بها على نحو معلن وصار له أتباع هو معبد الجهني(٢)، لكن بدعته لم تكن على الحد الذي كانت عليه فيما بعد من الانحراف والخطورة. ثم جاء بعده غيلان الدمشقي(٣) الذي تولى إثارة كثير من القضايا حول القدر، وقتل بعدما استتيب ولم يتب. ثم جاء بعده الجعد بن درهم(٤) فتوسع في هذه المقولات، وجمع بين مقولات القدرية، ومقولات أخرى وأثار الشبهات بين المسلمين، وجادلوه وأقاموا عليه الحجة فلم يرجع، واستتابوه فلم يتب، فلما افتتن به الناس حكم بضرورة قتله –درءاً للفتنة– فقتله خالد بن عبد الله القسري في قصته المشهورة، حينما قال بعد خطبته في عيد الأضحى ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم؛ فإنه زعم أن الله

---

(١) تأملات في التراث العقدي للفرق الكلامية (الخوارج)، د. عبد السلام عبده، دار الكتاب الجامعي، القاهرة ص ٤٦ ـ ٤٧.

(٢) هو معبد بن عبد الله بن عويمر الجهني، نزل البصرة، أول من تكلم في القدر من التابعين، حدّث عن جمع من الصحابة منهم معاوية وابن عباس، وحدّث عن مالك بن دينار وقتادة وغيرهم، وصلبه عبد الملك سنة ٨٠هـ.: سير أعلام النبلاء ١٨٥/٤، والبداية والنهاية لابن كثير ٣٤/٩.

(٣) غيلان بن مسلم الدمشقي، تنسب إليه فرقة الغيلانية من القدرية، قال عنه الذهبي: غيلان بن أبي غيلان، المقتول في القدر، ضال مسكين، قتله هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥هـ على باب كيسان بدمشق. انظر في ترجمته: ميزان الاعتدال ٣٣٨/٣، والأعلام للزركلي ٣٣٨/٣، والموسوعة العربية الميسرة ١٢٦٠/٢.

(٤) الجعد بن درهم أصله من خراسان، من موالي بني مروان، سكن دمشق، أتى ببدع كثيرة منها إظهاره القول بخلق القرآن، قتله خالد القشري يوم عيد الأضحى بالكوفة سنة ١١٨هـ.البداية والنهاية لابن كثير ٣٥٠/٩، وميزان الاعتدال للذهبي ٣٩٩/١، والأعلام للزركلي ١١٤/٢.

لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً.. إلى آخره من المقولات، فعدها ثم نزل من المنبر وقتله. ثم بعد ذلك انطفأت الفتنة بعض الوقت، حتى ظهرت على يد الجهم بن صفوان(١)، وهذا أيضاً جمع بين مساوئ الأولين وضلالاتهم وزاد عليها. ثم ظهر في وقته واصل بن عطاء(٢) وعمرو بن عبيد(٣) وهذان هما أصل المعتزلة بعدما افترق واصل عن طريقة الحسن البصري وظهر ببدعة المنزلة بين المنزلتين، كخط وسط بين الخوارج والمرجئة وذلك من جواب واصل للسائل الذي عرض سؤاله في مجلس الحسن البصري، وذكر موقف الخوارج والمرجئة من مرتكب الكبيرة، وطلب من الحسن بيان الاعتقاد الصحيح في ذلك فسبقه واصل وذكر أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، ثم انفتح باب الافتراق فبدأت الرافضة تعلن عقائدها، وانقسمت إلى فرق كثيرة، وظهرت المشبهة من الرافضة

(١) الجهم بن صفوان الراسبي، قال عنه الذهبي " رأس الجهمية والضلالة، كان ينكر الصفات، ويقول بخلق القرآن، وإن الله فى الأمكنة كلها،هلك في زمان التابعين، روى شيئاً لكن زرع شراً عظيماً، ظهرت بدعته بترمذ، وكان تلميذاً للجعد بن درهم، قتله أسلم بن أحوز المازني بمدينة مرو ١٢٨هـ". سير أعلام النبلاء ٢٦/٦ رقم ٨، والكامل فى التاريخ٣٤٢/٥-٣٤٤، تايخ الطبرى٢٢٠/٧، وميزان الاعتدال ٤٢٦/١رقم١٥٨٤٥.

(٢) واصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة وكبير المتكلمين كان تلميذ الحسن البصري وتلمذ له عمرو بن عبيد وزاد عليه في مسائل القدر، له مؤلفات منها أصناف المرجئة، والمنزل بين المنزلتين، ت١٣١هـ.الأعلام للزركلي ١٢١/٩، وشذرات الذهب ١٨٢/١، والفرق بين الفرق ص ١١٧.

(٣) عمرو بن عبيد: أبو عثمان البصري، مبتدع ضال، من كبار المعتزلة، الذين أسسوا المذهب مع واصل بن عطاء، يقول بالقدر، ت سنة ١٤٣هـ.
انظر في ترجمته: المجروحين لابن حبان ٦٩/٢، تهذيب التهذيب لابن حجر ٧٠/٨، مقالات الإسلاميين لأبي القاسم البلخي ص٦٨.

على يد داود الجواربي(١) وهشام بن الحكم(٢) وهشام الجواليقي(٣)، وهؤلاء هم أصول المشبهة الأوائل، وهم رافضة. ثم جاء المتكلمون وردوا على هؤلاء وهؤلاء وهذه الردود كانت تفتح على المسلمين ويلات وويلات، بل إنها كانت أحيانا سببا في افتراق جمعا من الجموع الطالحة عن الصالحة؛ كما حدث في افتراق واصل عن الحسن البصري، أو كانت سببا في افتراق الجموع الصالحة عن الفاسدة؛ كما حدث مع الامام أبو الحسن الاشعري مع زوج أمه أبو علي الجبائي(٤) المعتزلي، وبذلك انفتح باب الافتراق على مصراعيه لكل محق وضال ومبتدع ومتبع للهوى،

---

(١) داود الجواربي من مشبهة الروافض بل رأس في الرفض والتجسيم، كان يزعم أن ربه لحم ودم على صورة إنسان، كما في "الفرق بين الفِرق" (ص ٢٢٨) و"المِلل والنِحل" (ص ١٠٥، ١٨٧). ميزان الاعتدال للذهبي ٢٣/٢، لسان الميزان لابن حجر ٤٢٧/٢.

(٢) هشام بن الحكم البغدادي الكندي، مولى بني شيبان، أبو محمد، من متكلمي الشيعة الإمامية، وممن بدأ الكلام في الإمامة، ومما زعمه ابن الحكم في معبوده أنه عريض طويل عميق، طوله مثل عرضه، وعرضه مثل عمقه، كالسبيكة الصافية يتلألأ كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها، وأنه ذو لون وطعم ورائحة وأنه سبعة أشبار بشبر نفسه، اقترب من البرامكة، ت سنة ١٩٠هـ.الفهرست لابن النديم ص٢٤٩، الفرق بين الفرق للبغدادي ص٦٥. مقالات الإسلاميين للأشعري ١٠٦/١ – ١٠٨، ٢٨١، نشأة الفكر الفلسفي للنشار ١٩٨/٢ – ٢٠٨.

(٣) هشام بن سالم الجواليقي الجعفي، أبو محمد، مولى بشر بن مروان، من شيوخ الرافضة، ومن غلاة المشبهة. ادعى ان الله– تعالى– على صورة إنسان أعلاه مجوف، وأسفله مصمت، إلى آخر شناعاته، وأجاز المعصية على الأنبياء دون الأئمة لعصمتهم. الفهرست لابن النديم ص٢٥٢، الفرق بين الفرق للبغدادي ص٦٨.

(٤) أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي، من أئمة المعتزلة. ورئيس علماء الكلام في عصره، وإليه نسبة الطائفة " الجبائية " له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب. نسبته إلى جبي في البصرة، ودفن بجبي. له "تفسير" حافل مطول، رد عليه الأشعري وهو ربيبه وأفحمه. (٢٣٥–ت٣٠٣هـ). الأعلام للزركلي (٢٥٦/٦) واللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (٢٥٥/١–٢٥٦).

وبقيت أصول الفرق بين المسلمين باقية حتى يومنا هذا، بل تتجدد بدع وحوادث جديدة تضيف إلى الافتراق افتراقاً جديداً، بحسب أهواء الناس وتمرسهم في البدع والضلالات.

المبحث الثالث: أسباب التفرق

مما لا ريب فيه أنه لا توجد أمة من الأمم دعت إلى الوحدة والائتلاف ونهت عن الفرقة والاختلاف مثل الأمة الإسلامية، فقد جاء النداء القرآني المصدر بالوصف الإيماني داعياً إلى الوحدة وناهياً عن الفرقة فقال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝١٠٢ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [آل عمران:١٠٢، ١٠٣]. والمتأمل يرى غاية الإحكام في هذه الأوامر الإلهية، بل المنح الربانية، حيث بدأت بلزوم التقوى حتى الممات، ثم جاء الأمر بالاعتصام بحبل الله إشارة إلى أن طريق تحقيق التقوى واستمرارها لا يكون إلا بالاعتصام، ثم نهى عن الفرقة التي تقطع الطريق وتشوه جمال التقوى، وبعد ذلك بيّن الله تعالى أن التقوى والاعتصام والبعد عن الفرقة يحتاج إلى أمر مهم يكملها ويحفظها، فجاء ذكر الأخوة الإيمانية التي تربط بين القلوب، وتجمع بين الجهود، وتوّحد بين الصفوف، وتسمو فوق الرغبات الشخصية والأنانية الفردية، كما تتجاوز الخلافات الهامشية والقضايا الجانبية؛ لأن أصلها المكين، وأساسها المتين هو العقيدة الواحدة[التوحيد]، والقدوة الواحدة [الرسول]، والمنهج الواحد [الإسلام]، وكلها عواصم من القواصم.

وجاءت تشريعات الإسلام أيضا دعوة عملية دائمة للوحدة، فالأمة المسلمة تصوم شهرها في وقت واحد وتؤدي نسكها في زمان ومكان واحد بهيئة واحدة، وفي كل يوم يستجيب المسلمون لنداء واحد في صف واحد خلف إمام واحد في صفوف قد تراصت فلا خلل بينها ولا عوج فيها، وفوق هذا؛ فإن للمسلم على المسلم حقوقاً تقوي أواصر المحبة، وتوطد عرى الوحدة، وهناك آداب إسلامية بين أبناء المجتمع تشيع المودة، من تبسم في الوجه وحض على الزيارة، وطلب لحسن

الظن، ودعوة لالتماس العذر، وتشجيع على التسامح والعفو، كما أن هناك معالم إنسانية تذيب الفوارق العرقية ، وتقضي على النعرات العصبية، ولا ننسى المناهي التي جاءت لئلا يخدش صفاء المحبة، ولئلا يقوض بنيان الوحدة، حيث جاء النهي عن سوء الظن والغيبة والنميمة والتجسس والتباغض والتدابر إلى غير ذلك من الأمور التي تبين أن الإسلام دين الوحدة الذي يحارب في مجتمعاته الفرقة. هذا هو دين المسلمين فما الذي فرقهم إذا وجعلهم شيعا متفرقين متناحرين؟

نقول وبالله التوفيق أن هناك أسبابا لهذا التفرق، وهذه الأسبابُ إما أسباب خاصة أدت إلى ظهور الفرق من داخل الأمة الإسلامية نفسها، أو أسباب سلطت عليهم وجميعها أدت إلى ظهور الفرق وهي كالتالي:

أولا: الجهل

لقد حثّ الله تعالى على العلم وبين منزلة العلماء والثواب العظيم عند الله قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [المجادلة ١١].

وذم الله تعالى الجهل وحذر منه وبيّن أنه سبب إعراض المعرضين عن دعوة الأنبياء والمرسلين وأن الناس لجهلهم كذبوا بهم يقول تعالى مخبراً عن قول نوح لقومه: ﴿**وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ**﴾ [هود: ٢٩].

وذكر سبحانه أن الجهل هو الذي دفع قوم لوط لعمل جريمتهم البشعة من اللواط، يقول تعالى: ﴿**أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾[النمل: ٥٥].

والجهل أيضا يدفع الناس للشرك بالله قال تعال عن موسى عليه السلام وقومه: ﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٣٨].

ويعتبر ظهور الجهل وانتشاره من علامات قرب وقوع الساعة ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ أَيَّامًا يُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ وَيَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ). وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ وقال أيضا: (مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ وَيَظْهَرَ الزِّنَا)(١).

وكنت أظن أن مع كل التطور الذي وصلنا اليه ومع وسائل التعلم التي أصبحت متاحة للجميع ومع سهولة الحصول على المعلومات من مصادرها المعتبرة ولو على أسرة النوم؛ كل ذلك سيرفع الجهل عن الناس!! ولكن وجدت العجب العجاب، وجدت أن الناس يزدادون جهلا مع انفتاح كل هذه الثورة المعلوماتية عليهم، ووجدت أن الجهل ليس هو عدم الحصول على المعلومة فحسب، وإنما له أنواعا متعددة:

[١] من الجهل: عدم العمل بالعلم، ولقد ذم الله سبحانه علماء السوء الذين يقولون ما لا يعملون فقال سبحانه وتعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة: ٤٤] لذلك كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين على العمل الذي علموه، يخافون من السؤال يوم القيامة يقول أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ إِذَا وَقَفْتُ عَلَى الْحِسَابِ أَنْ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في الفتح (١/ ٢١٤: ٨١)، كتاب العلم (٩/ ٢٤١: ٥٢٣١)، كتاب النكاح، ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٥٦)، كتاب العلم.

يُقَالَ قَدْ عَلِمْتَ فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ(١).

[٢] من الجهل: عدم فهم الدليل ووضعه في غير موضعه وهذا نتيجة قصور العلم لذلك وصف رسول الله ﷺ الخوارج بأنهم (يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم)(٢).

[٣] من الجهل: المنازعة في المسألة قبل استكمال العلم وإحكامه وجمع حواشيه وأطرافه، فيظن المسلم أنه بقراءته للقرآن قد استكمل العلم فيذهب للمنازعة وإنكار ما يجهله فلقد أنكرت أم يعقوب على عبدالله بن مسعود–لعنه للواشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، قالت له: ما هذا؟ قال: "ومالي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ في كتاب الله" قالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدته فقال: والله لئن قرأتيه لقد وجدتيه. ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [الحشر: ٧](٣).

[٤] من الجهل: أن ينكر الإنسان ما يجهله وما غاب عن علمه خاصة إذا كان مع المخالف، فيقع منه التكذيب ببعض الحق ومن الجهل أن يرد بعض الحق الذي يكون مع مخالفه إذا كان مختلطا بالباطل فيؤدي هذا الرد إلى الاختلاف والنزاع.

---

(١) أبو بكر الآجري، تح اسماعيل بن محمد الأنصاري، رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م

(٢) خرجه ابن أبي شيبة ٣٠٦/١٥ (٣٧٨٨٩) قال: حدثنا أبو أسامة. و"أحمد" ٣١/٥ (٢٠٦٠٧ و٢٠٦٠٨) قال: حدثنا بهز، وأبو النضر، وعفان. و"الدارمي" ٢٤٣٤ قال: أخبرنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب

(٣) فتح الباري (٦٣٠/٨)، كتاب التفسير، حديث رقم (٤٨٨٦) . ورواه مسلم شرح النووي (١٠٥/١٤–١٠٧) كتاب اللباس والزينة

[٥] من الجهل: الانشغال والاهتمام بالعلوم الدنيوية التي يتحصل المسلم بها على وظيفة ودخل ويكون انشغاله على حساب تعلمه أمور دينه الأساسية، فكثيرا ما نجد من المسلمين من بلغ مراتب عالية في العلوم الدنيوية ولكنه قليل العلم في أمور دينه حتى لا يكاد يفرق بين أركان الصلاة وواجباتها فضلا عن مستحباتها، فيكون بذلك لقمة سائغة وبيئة خصبة لتقبل البدع ونشرها، إذ لا حصانة لديه من العلم الشرعي الصحيح. لهذا يجب على ولاة الأمر والتربية والتعليم الحرص على تزويد المناهج الدراسية بالعلوم الشرعية الكفيلة بتزويد المسلم كفايته بالقدر الذي يتحصن به ضد الغزو الفكري والبدع والفتن.

[٦] من الجهل: تجزئة الشريعة والأخذ ببعض النصوص دون بعض أو الزعم بالاستغناء بالقرآن الكريم عن السنة النبوية. يقول الشاطبي: " فشأن الراسخين تصور الشريعة صورة واحدة يخدم بعضها بعضا كأعضاء الإنسان.. فكما أن الإنسان لا يكون إنسانا يستنطق فينطق باليد وحدها، ولا بالرجل وحدها، ولا بالرأس وحدها،،، بل بجملته التي سمي بها إنسانا، كذلك الشريعة لا يطلب منها الحكم على حقيقة الاستنباط إلا بجملتها، لا من دليل منها أي دليل كان، وإن ظهر لبادي الرأي نطق ذلك الدليل، فإنما هو توهمي لا حقيقي،،، وشأن متبعي المتشابهات أخذ دليل ما؛ أي دليل كان عفوا وأخذاً، وإن كان ثم ما يعارضه من كلي أو جزئي فكأن العضو الواحد لا يعطي في مفهوم أحكام الشريعة حكما حقيقيا فمتبعه متبع متشابه ولا يتبعه إلا من في قلبه زيغ(١).

والجهل يشمل كل الأسباب، لكن الجهل هو مدخل لأصحاب الأهواء على الجهلة، وأيضاً الجهل قد يوقع صاحبه في البدعة، والجهل هو عدم التفقه في الدين، والإنسان بإمكانه أن يحصل ما يحصن به نفسه وما يحفظ به دينه من

(١) الاعتصام/ إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي/ تحقيق: سليم بن عيد الهلالي دار ابن عفان، السعودية/ط١ – ١٩٩٢م/ج١ص٣١٢

العلم، ويكون بذلك عالماً بدينه ولو لم يتبحر في العلم، والعكس كذلك، قد يوجد من الناس من يعلم الشيء الكثير، وذهنه محشو بالمعلومات، لكنه يجهل بدهيات الأصول الشرعية، وهذه مصيبة كبرى أصيب بها كثير من الناس اليوم، تجد الواحد منهم لديه معلومات شرعية أخذها من مصادر كثيرة، لكن تجده جاهلاً في أحكام الخلاف والحكم على الآخرين، وفي أحكام التعامل مع الناس، وفي أحكام الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيفسد من حيث لا يشعر، فالجهل مصيبة وهو سبب رئيسي لوجود الافتراق، والجهلاء مادة الفرق ووقودها. ولا شك أن كل هذه الانواع أو بعضها وجدت في بعض الفرق أو جلها، فالخوارج مثلا وجدت فيهم كل هذه الانواع ولكن من كان في قلبه إيمان منهم رجع مع ابن عباس حينما ارسله علي رضي الله عنه إليهم.

ثانيا: الغلو في الدين:

لقد جاء الإسلام آمرا بالاعتدال والاقتصاد والوسطية في كل أمر، حتى ميزت هذه الأمة وخصت بذلك، قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾ [البقرة: ١٤٣]. وقال سبحانه آمرا بالاستقامة والاعتدال، ناهيا عن الغلو والطغيان: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [هود: ١١٢]. وحذرنا رسول الله ﷺ من الغلو ومجاوزة الحد المشروع لنا، فقال عليه الصلاة والسلام ناهيا عن الغلو، مبينا أنه سبب هلاك من قبلنا: **(إيَّاكم والغلوّ في الدّين فإنَّما أهلك من كان قبلكم الغلوّ في الدّين)**(١). وقال: **(لا تُشّددوا على أنفسكم فيشدِّد الله عليكم، فإنَّ قومًا شدَّدوا على أنفسهم فشدَّد الله عليهم، فتلك**

(١) أخرجه النسائي (٢٦٨/٥) رقم (٣٠٥٧). وأحمد (٢١٥/١، ٣٤٧)، وصححه الحاكم (٤٦٦/١)، ووافقه الذهبي

بقاياهم في الصَّوامع والدّيارات رهبانيَّة ابتدعوها ما كتبناها عليهم)[١]. وبين عليه السلام أن هذا المتنطع الغالي المتعمق، المجاوز للحد في قوله وفعله هالك لا محالة فيقول: **(هلك المتنطعون)**[٢] قالها ﷺ ثلاثا.

ويقول سبحانه وتعالى في شأن أهل الكتاب ناهيا إياهم عن الغلو: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ**﴾ [المائدة: ٧٧].

وعندما نستقرئ بدايات وتاريخ بعض الفرق الإسلامية نلحظ كيف كان الغلو سبباً في ظهورها في المجتمع الإسلامي، فمن أسباب ظهور الخوارج غلوهم في فهم آيات الوعيد حتى خالفوا أمة محمد بتكفير مرتكب الكبيرة وهذا غلو في المبدأ، ومن أسباب ظهور الشيعة غلوهم في حب آل البيت حتى رفعوا أئمتهم إلى مرتبة الألوهية وهذا غلو في الأشخاص. والناظر لأقوالهم يجد المعتزلة قد غالوا في التنزيه وقصروا في الإثبات، والمشبهة غالوا في الإثبات وقصروا في التنزيه، وكلاهما أخذ ببعض النصوص وترك بعضا، والحق في الاعتدال والجمع بين النصوص.

ثالثا: الابتداع في الدين وعدم الاتباع

يمكن القول أن من أعظم ما فرق الأمة الإسلامية وأوهن جسدها: الابتداع في دين الله تعالى، إذ لو فتح الباب لكل إنسان أن يقول في الدين برأيه، وأن يحدث في الشرع ما يستحسنه بذوقه لتفرقت سبل الضلالات بالجماعة المسلمة . وهي الآن كذلك . لذلك نهينا عن اتباع السبل وأمرنا باتباع الصراط المستقيم كما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ**

(١) أخرجه أبو داود (٤/٢٧٦، ٢٧٧) رقم (٤٩٠٤)، وأخرجه أبو يعلى، كما في المطالب العالية (١/١١٧) رقم (٤٢٢)

(٢) أخرجه مسلم: ٤/٢٠٥٥ رقم (٢٦٧٠). وأبو داود: ٤/٢٠١ رقم (٤٦٠٨). وأحمد ١/٣٨٦.

بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣] وحذرﷺ من الإحداث في الدين فيقول: **(إياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة)**(١).

وذكر ﷺ من الأحوال التي ستحدث أنه سيأتي أقوام يهدون بغير هديه ويستنون بغير سنته، وذكر ﷺ الدعاة على أبواب جهنم وهم من كان من الأمراء يدعو إلى بدعة أو ضلال كالخوارج والقرامطة. ولقد اشتد نكير ابن مسعود على من أحدث في الدين وابتدع قولا وعملا ومن ذلك أنه جاء رضي الله عنه إلى قوم حلق جلوس في المسجد ينتظرون الصلاة، وفي كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول: كبروا مئة فيكبرون فيقول هللوا مئة فيهللون مئة ويقول سبحوا مئة فيسبحون مئة. فجاءهم رضي الله عنه مع جمع من أصحابه ووقف على إحدى تلك الحلق وقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح، قال فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضع من حسناتكم شيء! ويحكم يا أمة محمد! ما أسرع هلكتكم هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون وهذه ثيابه لم تبل وآنيته لم تكسر والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة أهدى من ملة محمد أو مفتتحو باب ضلالة، قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه إن رسول الله ﷺ حدثنا: **(إن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم)** وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم. ثم تولى. قال عمرو بن سلمة الكوفي: (رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج). وفي رواية أخرى: أنه ما زال يحصبهم بالحصا حتى أخرجهم من المسجد وهو يقول: لقد أحدثتم بدعة ظلماً أو قد فضلتم أصحاب محمد علماً(٢). فانظر كيف أنكر عليهم ابن مسعود بشدة ولم يعذرهم لحسن نيتهم بل قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إذ لا تكفي النية

---

(١) رواه أبو داود (كتاب السنة، باب لزوم السنة، ١٣/٥) ، والترمذي (العلم، باب الأخذ بالسنة، رقم ٢٦٧٨) – وقال: "حسن صحيح.

(٢) رواه الدارمي في السنن تحت رقم ٢١٠

الحسنة للفعل ليقبل، بل لا بد من اتباع هدي محمد ﷺ وسنته. ولقد جاء الحكم صريحا فيمن أحدث في الدين فقال عليه الصلاة والسلام: **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)**(١). أي: مردود عليه غير مقبول. ولقد عنون الإمام الآجري الباب الأول من كتابه (الشريعة): باب: ذكر الأمر بلزوم الجماعة والنهي عن الفرقة بل الاتباع وترك الابتداع فهو يرى رحمه الله أنه بلزوم الجماعة يكون الاتباع وإن الفرقة تكون بالابتداع في دين الله.

رابعا: اتباع الهوى

إن المتتبع لآي القرءان ليجد أن اتباع الهوى أمر ذمّه الله تعالى في غير آية من كتابه الكريم، وبيّن أنه يؤدي بصاحبه إلى سيء القول وقبيح الفعل ويؤثر على عقيدة الإنسان المسلم وعلى أخلاقه وسلوكه. ولقد حذر الله أنبياءه من إتباع الهوى وذكّرهم أنه يقود إلى الضلال: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [ص٢٦]، فالله حصر الحكم في أمرين لا ثالث لهما، الحق والهوى. ولخطورة هذا المنهج حذرنا رسول الله وخاف علينا منه فعن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن مما أخشى عليكم بعدي بطونكم وفروجكم ومضلات الأهواء)**(٢).

والممعن النظر في نشأة الفرق يجد أن الهوى سبب من أسباب ظهورها واختلاف المسلمين، يقول الشاطبي: وإذا دخل الهوى أدى إلى اتباع المتشابه حرصاً على الغلبة والظهور بإقامة العذر في الخلاف، وأدى إلى الفرقة والتقاطع، والعداوة والبغضاء لاختلاف الأهواء وعدم اتفاقها(٣).

---

(١) متفق عليه صحيح البخاري مع الفتح ٢٣٠/٦ ، صحيح مسلم مع شرح النووي ٣٧٩/٣ .

(٢) السنة لابن أبي عاصم: ١٢/١-١٤.

(٣) الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي: ٢٢٢/٤.

والخلاف في الحقيقة وارد على كل أمة وبين أفراد كل مجتمع لكنه يزول عند الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عندما يقدمان على الهوى، ويبقى ويتطور عندما يكون لكل من المختلفين هوى يقوده حيث يشاء، لذا سموا أهل البدع أهل الأهواء لأنهم يتبعون أهواءهم، وهذا منهج مخالف للقرآن الكريم الذي جاء فيه: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء ٥٩].

وهكذا نجد أن اتباع الهوى سبب من أسباب هدم الدين، وتفريق كلمة المسلمين، ولا ينتج عنه إلا الفرقة والضياع والتفكك والابتداع، ولهذا حذر منه سلف هذه الأمة وأئمتها رضى الله عنهم جميعا.

خامسا: حب الشهرة والتسلط

حب الشهرة والتسلط أو حب الرئاسة والظهور، منهج سار عليه المعاندون والمكابرون قديماً وحديثاً، فصاحبه يصاب بضلال يحجب عينيه عن رؤية الحق فتنقلب الموازين في نظره، فيصبح الباطل عنده حقاً والبدعة عنده حسنة، لذا فما يبتدعه من بدع فهي حق في نظره، فيؤسس لها الأسس ويرسم لها الخطوط الدقيقة والعريضة ويعتنقها ويدعو إليها، وأتباعه من بعده في كل زمان ومكان ينصرونها ويدعون إليها.

ولقد مثل هذا المنهج قديماً النمرود في عهد إبراهيم الخليل عليه السلام الذي رأى الباطل حقاً والحق باطلاً بسبب حبه لمنصبه وخوفه على شهرته، حتى قال ما حكاه الله تعالى عنه في القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْىِ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْىِ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فملكه الذي آتاه إياه رب العالمين وحبه لهذا الملك وحبه المحافظة على شهرته التي اشتهر بها في قومه ومملكته هي التي جعلته يزعم هذا الزعم ويسلك هذا المسلك، وجاء من بعد ذلك من سلك هذا المنهج

وسار عليه إنه فرعون مصر الذي جعله حبه لشهرته وخوفه على سلطانه في قومه يقول لموسى عليه السلام ما حكاه الله تعالى عنه في كتابه الكريم: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]، وقال أيضاً في نفس السورة: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۝٣٦ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ { [غافر ٣٦-٣٧]. وكذلك فعل مشركو العرب مع خاتم الأنبياء ﷺ فحبهم لمكانتهم، وأعني زعماءهم، وحبهم لشهرتهم ومصالحهم الشخصية جعلهم يحاربون محمداً ﷺ، وهذا ديدان أصحاب الضلال في كل زمان وفي كل مكان، وإذا كان حب الشهرة والرئاسة يؤدي إلى ما تقدم فهو يؤدي إلى الفرقة والاختلاف من باب أولى، فالرئاسة وحب الشهرة سبب من أسباب الاختلاف والتفرق؛ خصوصاً في المناهج السياسية، فإن كثيراً ممن يرغبون في السلطان ينتهون إلى آراء تتعلق بالحكم، هي منبثقة من رغباتهم الخاصة، ويندفعون في تأييدها حتى يخيل إليهم أنهم مخلصون فيما يدعون إليه وأن ما يقولونه هو محض الحق والصواب. "وقد يكون لحاكم أنصار يدعون إليه فيندفعون في نصرته اندفاعاً، ويعلنون أراءه في هذا الاندفاع، قد يخدعون أنفسهم بأن ما يدعون إليه هو الحق، وهذا الصنف هو من أخطر الناس على الناس"(١).

وتأكيدً لدور هذا الجانب في الفرقة والاختلاف، فإن نظرة عابرة للفرق الإسلامية تعطي الدلالة كاملة على هذا الموضوع –حب الشهرة والتسلط– والذي أدى إلى الانقسام والفرقة حتى في الفرقة الواحدة، فتجدها تنقسم إلى عشرين فرقة ولتأكيد أن حب الشهرة هو السبب في هذا الانقسام تجد أن الفرقة غالباً ما تنسب

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، ص ١٠ بتصرف.

إلى مبتدعها؛ لأنه ابتدع قولاً أو عملاً واشتهر به فنسبت هذه الفرقة إليه وذلك مثل الأزارقة(١) من الخوارج أتباع نافع بن الأزرق.

ومثل العمروية(٢) من المعتزلة أتباع عمرو بن عبيد ومثل النجدات(٣) من الخوارج أتباع نجدة بن عويمر، ومثل الهشامية(٤) من الشيعة أتباع هشام بن الحكم ومثل الواصلية من المعتزلة أتباع واصل بن عطاء، ومثل السبئية(٥) من الغلاة الشيعة أتباع عبدالله بن سبأ، وهكذا دواليك.

---

(١) الأزارقة أتباع نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري الوائلي، من أهل البصرة صحب في أول أمره عبد الله بن عباس وكان بعد ذلك من الثآئرين على عثمان، ثم من الخارجين على علي في حروراء، قاتله المهلب بن أبي صفرة إلى أن قتل سنة ٦٥هـ.انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل أبو محمد علي بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة ج٤ ص١٤٤.

(٢) العمروية أو العمرية أتباع عمرو بن عبيد بن باب، مولى بني تميم، المعتزلي القدري، قال ابن قتيبة: كان يرى رأي أهل القدر ويدعو إليه، كان يقول بالمنزلة بين المنزلتين، وقال بفسق الفرقتين المقاتلتين يوم الجمل، ورد شهادة رجلين أحدهما من أصحاب الجمل والآخر من أصحاب علي.

(٣) النجدات أتباع نجدة بن عويمر الحنفي وهومن بني حنيفة فارق فرقة الأزارقة بعدما كان من أتباعها وخرج باليمامة سنة ٦٦ أيام عبدالله بن الزبير واستولى على البحرين وعمان وما حولها، قتله أتباعه لنقمتهم عليه ٦٩هـ.

(٤) الهشامية أتباع هشام بن الحكم الرافضي صاحب المقالة في التشبيه، له معتقدات فاسدة منها ما حكاه ابن الراوندي عنه أنه قال عن معبوده هو سبعة أشبار بشبر نفسه وأنه في مكان مخصوص وجهة مخصوصة وأنه يتحرك.

(٥) السبئية إحدى الفرق الغالية من الشيعة أتباع عبدالله بن سبأ، قال عنه الذهبي أفسد على المسلمين دينهم كما أفسد بولس على النصارى دينهم،كان يهودياً ثم أسلم ليكيد للإسلام وقد ادعى بالوصية لعلي ثم بالرسالة ثم بالألوهية، وأثرت عقيدته اليهودية في معتقدات الشيعة، كالبداءة والرجعة وغيرها.انظر عنه وعن فرقته: مقالات الإسلاميين للأشعري ص ٨٥ ـ ٨٦، الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٤٣ ـ ١٤٥، والتبصير في الدين ص ٧١ ـ ٧٢، والملل والنحل ١/١٥٥ ـ ١٥٦.

سادسا: العصبية للقوم والجنس ونحوها

كانت تقطن جزيرة العرب قبل البعثة النبوية الشريفة وبعدها قبائل متعددة، تفتخر كل قبيلة بما لها من صفات، وتعبر عن ذلك بوسائلها الإعلامية المختلفة آنذاك والتي كان منها الشعر والأدب بوجه عام. لذا لا يستطيع باحث في تاريخ صدر الإسلام أن يتجاهل عاملاً خطيراً كان وراء كثير مما جرى في تلك الحقبة الحاسمة من تاريخ المسلمين ذلك هو الصراع القبلي الذي لعب دوراً بارزاً في حياة الناس، وأثر في مجاري الأمور وفي تحديد المواقف في كثير من القضايا السياسية المصيرية عصرئذ، فالعرب قبل الإسلام كانت تسودهم حياة العصبية وكان من صورها ومظاهرها ألا يمكن تخضع قبيلة لأخرى ونشبت حروب كثيرة بهذا السبب مثل حرب البسوس بين بكر وتغلب، وحرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان. أما عن أثر التعصب في ظهور بعض الفرق الإسلامية؛ فلقد دخل في هذا الدين أمم وشعوب كثيرة مختلفة القبائل والأجناس والطباع والألوان، وبديهي أن لا يكونوا على درجة واحدة من التقى والصلاح، فمنهم من استقر الإيمان في سويداء قلبه وخالط بشاشتها، ومنهم من تغلب هواه على إيمانه الضعيف، ومنهم من كان متأثراً بتراث الآباء والأجداد فيتعصب لكل صغيرة وكبيرة فيه. " ثم لما اختلط المسلمون بغيرهم، في البلاد المفتوحة، وكان منهم أرباب دين وأرباب فلسفة، كان لا بد من احتكاك الآراء بعضها ببعض. والأجانب لم يكونوا كلهم مخلصين للإسلام وإن أظهروه، فما بالك بمن لم يدخلوا فيه، فأخذ هؤلاء يجادلون في الإسلام ويجاورون، بل أخذوا يهاجمون ويمارسون، وشجعهم على هذه المواقف فتور حماس العرب لدينهم(١).

وإذا كانت العصبية ذات أثر في الحروب بين القبائل العربية فهي ذات أثر كبير في كثير مما وقع من أحداث في تاريخ صدر الإسلام، فقد كان لها أثر

(١) التفكير الفلسفي الإسلامي، الدكتور سليمان دنيا، ص٣٢٦.

مماثل في التمهيد لنشأة الخوارج وفي استمرار وجودهم لسنوات طويلة بعد ظهورهم، ولعل أول موقف خطير ظاهر تمثلت فيه العصبية الجاهلية وأسهم في تعزيز أمر الخوارج فيما بعد كان موقف الأشعث بن قيس(١) من اختيار ممثل (علي) في الحكومة حين اعترض على ترشيح عبدالله بن عباس قائلاً والله لا يحكم فيها مضريان حتى تقوم الساعة، ولما لفت (علي) نظره وحذره من تكليف أبي موسى الأشعري، قدم عصبيته اليمنية على الراية التي يحارب تحت ظلالها وقال: والله لئن يحكما ببعض ما نكره وأحدهما من أهل اليمن؛ أحب إلينا من أن يكون بعض ما نحب وحكمهما وهما مضريان. وظهر كذلك التعصب واضحاً في مسألة الإمامة أو الخلافة فهؤلاء يرون أن تكون في آل البيت لا تخرج عنهم، وآخرون يرون أنها تكون في قريش، وآخرون يرون أنها تحصل لكل إنسان حتى وإن كان غير عربي من الموالي وهذا رأي الخوارج؛ الأمر الذي جعل كثيراً من الموالي ينضمون إلى الخوارج إعجاباً بمذهبهم السياسي الذي يسوي بين المسلمين من عرب وعجم في الترشيح للخلافة ومناصب الحكم والمكانة الاجتماعية. وإذا كان التعصب القبلي أثر في ظهور الخوارج والشيعة فإن التعصب للجنس البشري ذو أثر هو الآخر في ظهور بعض الفرق. فمنذ طلائع الفتح الإسلامي إلى أن استقر الملك في بني أمية أسلم كثير من الفرس وغيرهم، وكانت قد نبتت من أبنائهم نابتة أجادت اللغة العربية وكان هؤلاء العجم أو المنحدرون من أصول أعجمية يعيشون مع العرب ويخالطونهم ويرتبطون بهم برابطة الولاء، وللولاء مظاهر شتى، فقد

(١) الأشعث بن قيس الكندي، قدم على رسول الله سنة عشر في وفد كندة، وكان رئيسهم فأسلموا. وكان في الإسلام وجيهاً في قومه، إلاّ أنه ارتد بعد النبي صلى الله عليه وسلم، فأسر وأحضر إلى أبي بكر فأسلم وأطلقه وزوجه أخته أم فروة. ولما استخلف عمر خرج الأشعث مع سعد إلى العراق وشهد القادسية والمدائن وجلولاء ونهاوند. قيل مات سنة ٤٢ هـ. أنظر: الاستيعاب ١٠٣/١. الإصابة ٦٦/١.

يكون نتيجة للعتق إذ ينسب العتيق إلى سيده الذي أعتقه أو إلى قبيلة من أعتقه، وقد يكون غير ذلك ولهذا سمي الأعاجم موالي لأن بلادهم فتحت عَنْوَة بأيدي العرب، وكان للعرب استرقاقهم، فإذا تركوهم أحراراً فكأنهم اعتقوهم، وقد أثبتت المواقف والأحداث التاريخية التي ساقها لنا المؤرخون أن بعض هؤلاء الموالي كانوا ينظرون إلى العرب المسلمين نظرة حقد وبغض، كان مصدره تقويض عرشهم على أيدي هؤلاء المسلمين بالإضافة إلى أنهم يبادلون بعض العرب نفس الشعور الذي يقابلون به من قبل بعض العرب المسلمين الذين كانت لديهم عصبية للجنس العربي آنذاك. وإن من أسباب الفرقة أيضا ما يقع فيه بعض المسلمين من الغلو والتعصب في الأشخاص، والتقليد الأعمى لأقوالهم وتقديمها على قول الله وقول رسوله ﷺ، وهذا مما حذرنا الله تعالى منه، وأمرنا أن نعتبر بحال أهل الكتاب الذين غالوا في عيسى عليه السلام، وتعصبوا له ولأتباعه فأدى بهم ذلك إلى انحرافهم عن الصراط المستقيم.

سابعا: الجدل في الدين والتأويل الفاسد

إن من العثرات التي وقع فيها أهل الفرقة والشقاق، ومن الثمرات المرة التي جنوها ما وقعوا فيه من جدل وخصومات في الدين. والجدل المنهي عنه هو الكلام فيما لم يؤذن فيه الكلام، كالكلام في المتشابهات من الصفات والأفعال وغيرهما – إلاعند الاضطرار– وكمتشابهات القرآن فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ [آل عمران:٧] قال رسول الله ﷺ: **(فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم)**(١).

(١) رواه البخاري، الجامع الصحيح كتاب التفسير، باب منه آيات محكمات ٥/ ١٦٦.

ولقد جاء القرآن ذاماً الذين يجادلون فيه بغير علم ولا هدى بل يدفعون الحق بالباطل ويردون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله. يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر:٥٦]، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج:٣]. وبهذا يتبين أن ظهور الفرق كان من ضمن أسبابه التأويل الفاسد لنصوص الكتاب والسنة، فالشيعة على سبيل المثال تأوّلت كثيراً من نصوص القرآن الكريم في حب آل البيت في تعيين علي رضي الله عنه خليفة للمسلمين، وإذا كان هذا هو ديدنها في نصوص القرآن الكريم، فهو منهجاً أيضاً مع نصوص السنة النبوية الشريفة، ولم يقف الأمر عند الحب لآل البيت وأحقيتهم في الخلافة، بل أولوا النصوص الكثيرة سواء من القرآن أو السنة؛ للطعن في خيار الصحابة رضوان الله عليهم وأمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فكم من آية لووا ألسنتهم بها كي تأتي موافقة لما يحبون ويشتهون في أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية وعائشة وغيرهم، فأسسوا فرقتهم على التأويل الفاسد، والخوارج ليسوا أقل شأناً من الرافضة في عبور هذا المضيق المظلم فأسسوا فرقتهم على أسس قامت على التأويل فما كفّروا مرتكب الكبيرة إلا بالتأويل، وما كفّروا عليا ومعاوية والحكمين ومن رضي بالتحكيم إلا بالتأويل. والمرجئة والقدرية والمعتزلة وغيرهم نهجوا هذا المنهج الفاسد الوخيم وتركوا المنهج الصحيح المستقيم.

ثامنا: التنازع على السلطة والاتجاهات السياسية

الاتجاهات السياسية يعنى بها عند بعض أصحاب المقالات والفرق الأحزاب السياسية المتعارضة، التي نتج عنها فيما بعد اعتقادات تكونت منها الفرق المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة. ويعنى بها عند البعض الآخر الخلافة أو الإمامة، أو الخلاف الذي نشب حول مسألة الإمامة. وإذا كانت الأسباب السابقة أدت إلى

ظهور بعض الفرق، فالعوامل السياسية تعتبر من أقوى الأسباب لظهور البعض الآخر.

فالشيعة بفرقها المختلفة إنما نشأت وتطورت نتيجة لأصل سياسي، والخوارج بطوائفها المتعددة إنما نشأت بعامل سياسي، والمعتزلة ان لم يكن في نشأتها ففي تطورها كذلك، بل إنها في عهد أبي الهذيل العلاف انقلبت فرقة سياسية سرية، ثم تم لها الانتصار حين استولت على السلطة لمدة طويلة، ويفسر الإرجاء نفس التفسير(١).

يقول الأستاذ محمد أبو زهرة: ومن الأسباب الجوهرية التي أدت إلى ظهور الفرق، الخلاف السياسي الذي انبعث في صدر الدولة الإسلامية حول الخلافة، ولكنه حسم في وقته ولم يظهر له أي أثر، ثم اشتدت الخلافات بعد ذلك حول الخلافة، من يكون أحق بها؟ أيكون من قريش جمعاء أم يكون من أولاد علي خاصة؟ أم يكون من المسلمين جميعاً؟ لا فرق بين نبيل وقبيل، وبيت وبيت، فالجميع أمام الله سواء والله يقول: **{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}** وهكذا انقسم المسلمون إلى خوارج وشيعة وجماعات أخرى"(٢). "فالخلاف بدأ حول الإمامة لكنه تطور عبر الزمن وتمخض عن هذا الصراع السياسي ظهور الفرق، وقد انتشرت آراء هذه الفرق في ربوع العالم الإسلامي وتزال قائمة بين ظهرانينا... لقد كانت مشكلة الإمامة وهي مشكلة سياسية في أصلها هي السبب في ظهور الخوارج والشيعة. وبهذا يتبين أن نشأة الفرق الأولى في الإسلام إنما كان بسبب سياسي أولاً، ولم تلبث هذه الفرق أن كفرت بعضها بعضاً نتيجة لتفسير كل منها لمدلول

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، علي سامي النشار ج١/ص٢٢٥ بتصرف، دار المعارف، ط ٩، ١٣٨٧هـ.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٣ ـ بتصرف.

الإيمان، فكفرت الخوارج مرتكب الكبيرة، بل أباح بعضهم دمه وأرجأت المرجئة الحكم عليه إلى يوم القيامة، وأما المعتزلة فقالوا: إنه في منزلة بين المنزلتين"(١).

والأحزاب التي اختلفت فيما بينها في مسألة الإمامة تحولت تدريجيا إلى مذاهب فكرية: "ولكن لم يقف أمر الافتراق عند هذه الفرق التي رأت رأياً معيناً في الإمامة بل سرعان ما تحولت تلك الأحزاب إلى مذاهب، ذلك بأن النزاع السياسي حول الخلافة، ومن هو أولى بأن يكون خليفة المسلمين وأيهما كان على حق في موقفه علي أو معاوية رضي الله عنهما أو غيرها تحول إلى خلاف فكري حول الحكم على هؤلاء والحكم على أتباعهم، وقد أثار هذه المشكلة بهذه الصورة جماعة الخوارج الذين كفروا كثيراً من المسلمين، وأخرجوهم عن دائرة الجماعة المسلمة (أي جماعتهم كما كانوا يعتقدون)، ومن هنا بدأت محاولات فكرية لتحديد معنى الإيمان وأركانه أو الشروط التي ينبغي توفرها حيث يعد الشخص مؤمناً، والفرق بين الإسلام والإيمان، وحكم مرتكب الكبيرة هل هو مؤمن عاص أو كافر خارج عن الملة كم زعمت الخوارج وظهرت في إطار هذه الأبحاث جماعة المرجئة الذين اتخذوا رأي في الطرف المقابل لآراء الخوارج ثم ظهرت مذاهب عقائدية كلامية متعددة"(٢).

من كل ما تقدم يتضح أن الإمامة والتي هي محور الخلاف بين الاتجاهات السياسية أو الأحزاب السياسية كانت سببا رئيسيا في ظهور الفرق، ولقد أجاد الشهرستاني عندما قال: "أعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سلّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سلّ على الإمامة في كل زمان ومكان"(٣).

---

(١) تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، محمد علي أبو ريان، ص ١٢٩.

(٢) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين. أحمد جلبي. الخوارج والشيعة ـ بتصرف ص ٣٣.

(٣) الملل والنحل لأبي الفتح عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني: ج١/ص٢٤، دار المعرفة، بيروت.

تاسعا: التشبه بأعداء الإسلام واتباع سننهم:

لقد حذرنا الله عز وجل ورسوله ﷺ من اتباع سنن الكافرين خاصة أهل الكتابين، وأخبرنا أن أمته ستتبع السنن الماضية الضالة، وأنها ستفترق كما افترقوا. وفي هذا بيان أن تقليد الكفرة واتباع طريقتهم وسيرتهم من أسباب الفرقة التي دبت في الأمة، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: **(ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة "، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي)**(١). وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: **(لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها، شبرا شبرا وذراعا بذراع، فقيل: يا رسول الله كفارس والروم؟ فقال: ومن الناس إلا أولئك)**(٢). وفي حديث آخر عن أبي واقد الليثي أنه قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها ينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر إنها السنن قلتم –والذي نفسي بيده– كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿**قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٣٨]. **لتركبن سنن من كان قبلكم)**(٣).

---

(١) سنن الترمذي": (٥/٢٦، ح ٢٦٤١) ، كتاب الإيمان، باب ١٨."مستدرك الحاكم": (١/١٢٨– ١٢٩) . والحديث مداره على عبد الرحمن.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي : لتتبعن سنن من كان قبلكم ح٦٨٨٨.

(٣) سنن الترمذي (٤/٤٧٥) كتاب الفتن، باب ماجاء لتركبن سنن من كان قبلكم، وقال: حديث حسن صحيح. ومسند الإمام أحمد (٥/٢١٨).

وأعجب كل العجب من هؤلاء الذين يلتمسون الدواء من الأعداء ليرضوهم أو ليؤازروهم!! ألم يقرؤوا قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠]. وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٩].

فأعداء الإسلام يعملون ليلاً ونهاراً من أجل إطفاء نور الله، وتدمير الأمة، كلهم متفقون على ذلك وإن اختلفت أديانهم وآراؤهم. وهذا ابتلاء من الله لهذه الأمة من جهة، كما أنه عقوبة وتأديب لها من جهة أخرى. وبما أن الإسلام قد قضى على الأديان الباطلة، وهدم الأنظمة الفاسدة، والحكومات الظالمة، وحارب الشهوات والرغبات الدنيئة، فلا غرو أن يكيدوا له بأصنافهم المختلفة من اليهود والنصارى والصابئة والمجوس، وكذلك من الموتورين الذين حقدوا على الإسلام والمسلمين؛ لأن الجهاد قضى على دولتهم، ومحا أديانهم من الأرض، فهؤلاء بقوا على حقدهم للإسلام، وآثروا النفاق والزندقة على أن يبقوا على دياناتهم؛ حفظاً لرقابهم، أو للتعايش مع المسلمين، فهم أشد المعاول فتكاً بالمسلمين، والكيد لهم بدس الأفكار والمبادئ المنحرفة والبدع والأهواء بينهم. فلا غرابة أن يحقدوا على أصحابه، ويتآمروا على هدمه، ويدسوا فيه العقائد الباطلة، ومن ذلك إيجاد الفرقة بين أهله، وبذر البدع والضلالات فيهم. وهكذا نجد شياطين المكر من هؤلاء الحاقدين يؤسسون فرقاً ضالة، أو يدخلون في فرق قائمة بالفعل، فيزيدونها ضلالاً وغلواً، أو يلقون شبهة وضلالة إلى ضعاف العقول، فتكون أساساً لفرقة جديدة فمثلا:

١- التشيع الغالي أسسه عبد الله بن سبأ اليهودي(١) وهو غنى عن التعرف.

(١) سبق التعريف به.

٢- والاعتزال المفرط أسسه إبراهيم النظام(١) وأبو الهذيل العلاف(٢) وقد تُكلم في دينهما.

٣- والباطنية قد أسسها عبد الله بن ميمون القداح(٣)، وهو يهودي فارسي.

٤- وإنكار الصفات أخذه الجعد بن درهم، والجهم بن صفوان عن فلاسفة اليهود والصابئة.

٥- وإنكار القدر أخذه معبد الجهني، وغيلان الدمشقي عن بعض فلاسفة النصارى.

---

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار المعروف بالنظام، أحد شيوخ المعتزلة، وتنسب إليه فرقة النظامية، أخذ بدعة الاعتزال عن خاله أبي هذيل العلاف، وكان يقول: إن الله لا يقدر على الظلم ولا الشر، ولو كان قادرا، لكنا لا نأمن وقع ذلك، وإن الناس يقدرون على الظلم، وصرح بأن الله لا يقدر على إخراج أحد من جهنم، وأنه ليس يقدر على أصلح مما خلق، إن القرآن معجز، لكن الإعجاز في أن الله صرف العرب على أن يقولوا مثله. وقد كفره جماعة. وقال بعضهم: كان النظام على دين البراهمة المنكرين للنبوة والبعث، ويخفي ذلك. وورد: أنه سقط من غرفة وهو سكران، فمات في خلافة المعتصم أو الواثق، ما بين سنة: ٢٢١-٢٢٣هـ.الفرق بين الفِرق، لعبد القاهر البغدادي، ص (١٣١). وتاريخ بغداد، (٩٧/٦). سير أعلام النبلاء مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط: مؤسسة الرسالة، ج١٠ص٥٤٢

(٢) أبو الهذيل العلّاف، محمد بن الهذيل بن عبيد الله بن مَكحول، ونسبته العَبْدى لأنه كان مولى لعبد القيس: أول متكلم معتزلى، ولد فى البصرة حيث كان يقيم فى حى العلافين، ومن هنا نسب إليهم: وتاريخ مولده مشكوك فيه؛ فيقال إنه سنة ١٣٥ هـ أو سنة ١٣٤ هـ أو ١٣١ هـ. زعم أن نعيم الجنة وعذاب النار ينتهي، بحيث إن حركات أهل الجنة تسكن، حتى لا ينطقون بكلمة، وأنكر الصفات حتى العلم والقدرة، وقال:هما الله، وأن لما يقدر الله عليه نهاية وآخرا، وأن للقدرة نهاية لو خرجت إلى الفعل، فإن خرجت، لم تقدر على خلق ذرة أصلا.وهذا كفر وإلحاد. وقيل: إن المأمون قال لحاجبه: من بالباب؟ قال: أبو الهذيل، وعبد الله بن أبان الخارجي، وهشام بن الكلبي. فقال: ما بقي من رؤوس جهنم إلا من حضر. سير أعلام النبلاء ،ج١٠ص٥٤٣.

(٣) عبد الله بن ميمون القداح كان عالما بجميع الشرائع والسنن والمذاهب، وقد وضع سبع دعوات يتدرج الإنسان فيها حتى ينحلّ عن الأديان كلها، ويصير معطلاً إباحيًّا لا يرجو ثوابًا ولا عقابًا، حتى اشتهر وصار له دعاة. وهو مجوسي ومن أشهر الدعاة السريين الباطنيين الذين عرفهم التاريخ، ومن دعوته هذه صيغت دعوة القرامطة. "الخطط"؛ المقريزي، ج٢، ص١٥٠.

٦- والتصوف الفلسفي أول من أسسه وسمى به في الإسلام أناسا يُرتاب أنهم من الهندوس أو المجوس، أمثال: عبدك الصوفي(١) وغيره.

(١) عبدك . عبد الكريم أو محمد الصوفى صاحب عزلة بغدادى، وهو أول من لقب بالصوفي، ويذكر عنه الحارث المحاسبي أنه كان من طائفة نصف شيعية تسمي نفسها صوفية تأسست بالكوفة. بينما يذكر الملطي في التنبيه أن عبدك كان رأس فرقة من الزنادقة الذين زعموا أن الدنيا كلها حرام، لا يحل لأحد منها إلا القوت، حيث ذهب أئمة الهدى، ولا تحل الدنيا إلا بإمام عادل، وإلا فهي حرام، ومعاملة أهلها حرام، وهو من القائلين بأن الإمامة بالتعيين، وكان لا يأكل اللحم، وتوفى ببغداد حوالي عام ١٢٠هـ. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين المَلَطي ،المحقق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري،المكتبة الأزهرية للتراث – مصر.ج١ ص٩٣.

المبحث الرابع: مظاهر وآثار الافتراق

من البين الواضح الآن للناظر على الخارطة الإسلامية من المحيط للخليج، أو بمعنى أدق لكل بقعه فيها مسلمين على وجه الأرض؛ ليجد أثر التفرق والتنازع بين المسلمين وبعضهم على هذه المجتمعات او الاقليات المسلمة في بقاع الأرض المختلفة، بل في بلاد المسلمين أنفسهم؛ فمظاهر التفرق واضحة للعيان في استباحة بلاد الاسلام استباحة علنية لا لبس فيها، سواء كانت استباحة فكرية أو اجتماعية أو اقتصادية أو حربية، كما نرى الدول التي حولنا قد خربت من هذه العمليات العسكرية التي دمرت شعوبها تدميرا، ولا يخفى علينا أنها كلها بفعل فاعل لإضعافها، سواء كانت هذه القوة من الخارج أو للأسف من الداخل كما يحدث في السودان وليبيا وسوريا والعراق، وما كانوا يريدونه لمصرنا العزيز لولا حفظ الله عز وجل لها فهي أمنة بحفظه تعالى، والمصيبة اننا نستشعر تربص اليهود بنا وتربص المجتمع الخارجي الموالي لهم ومع ذلك نزداد فرقة ونزداد عن بعضنا بعدا، مع ان دواعي الاتفاق والاجتماع لدينا أكثر وأعمق مما عند غيرنا من الأمم والحضارات، ومع ذلك اجتمعوا وافترقنا، وتضامنوا وتنازعنا، وتناسوا ما كان بينهم، ونحن نحرص على بعثه وإثارته وتحريك الصدور به.. فما زادنا ذلك إلا فشلاً وذهاب ريح. فهل نعتبر؟ فنلتزم بتعاليم ديننا، ونستصحب قيم أسلافنا، ونستحضر ما نواجهه من تحديات ماثلة، توشك أن تأتي على كل شيء، وننظر إلى الاولويات والحاجات المفتقر إليها لتحقيق أمن العقيدة ووحدة الصف السياسي للامة، فالافتراق المنهجي أو الحسي الذي أصبح واضحا الآن، بات شوكة تهدد الامنين؛ العلمي والسياسي للأمة الإسلامية، والافتراق سواء كان علميٌ منهجيٌ أو عمليٌ سياسيٌ– فالعلمي الذي يخشى ان يفتتن الناس به في دينهم وأفكارهم والحسي الذي يخشى أن يُتخطف به الناس من أمنهم واستقرارهم كما يحدث في الدول المجاورة لنا الان– هذا الافتراق ليس معناه أن جماعة من الناس اختارت لنفسها رأياً، أو طريقاً خاصاً يحتمل السكوت عنه تحت تأثير وَهم حرية الرأي والتعبير، وإنما هو

خطر حقيقي يضر بأمن المسلمين علمياً وعملياً، فأما الضرر العلمي العقدي: فهو ما يدخل قلوب المسلمين من شبهات تشكك في العقيدة، ولقد نبه الله إلى خطورة هذا المسلك حين مارسه طائفة من أعداء الدين الأصليين حين كانت الدعوة في مهدها، فانظر قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [٧٢ آل عمران].

والغالب في منهج أهل الفرقة والهوى هو لَبس الحق بالباطل كما كان منهج اليهود والنصارى حيث قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٧١ آل عمران].

وأما الضرر العملي فحسبك عليه منبهاً قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [١٠٧التوبة]. وتأمل حولك اليوم لترى كم من مساجد الضرار، وكم من هيئات الضرار، وكم من فتاوى الضرار.. يطلع علينا بها عُبَّاد الأهواء من المنظرين لجماعات الافتراق والتفريق، الذين قطَّعوا الأمة إرباً إرباً تحت شتى رايات الضلال. وأما اجتماع الضررين: فيحدث حينما تكون لأهل الافتراق المنهجي شوكة تعكر على جماعة المسلمين صفو دينهم وأمنهم، ككثرة الأموال أو السلطة -كما حدث للمعتزلة في الماضي- وعلى هذا فتفرّق الأمة الإسلامية له مظاهر وآثار كبيرة وعميقة، وفيما يلي توضيح لأهم هذه المظاهر والآثار التي ترتبت على هذا التفرّق:

[١] الضياع التام والخسارة وذهاب القوة والهيبة، أي شمولية الفشل لمناحي الحياة المختلفة، وهذا يعني موت الأمة بأسرها، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بذهاب الريح، حتى تعود الأمة أعداداً بلا عدة، وأرقاماً بلا معنى، أي الحالة الغثائية التي لا تحافظ على موجود، فتتداعى الأكلة إلى قصعة الأمة، فيطمع فيها كل قوي وضعيف، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية. وعندما نعود إلى أصحاب

النبي ﷺ نجد أن التاريخ سجل لهم من الفتوحات والقوة والعزة الشيء الكثير، ففتوحاتهم امتدت إلى كل مكان من هذه المعمورة، وقوتهم وهيبتهم كانت تهز قلوب الأكاسرة والقياصرة والصليبيين في كل مكان، مع أنهم لا يقارنون من حيث العدد والعدة بغيرهم؛ لكنهم كذلك أيضاً لا يقارنون بغيرهم من حيث قوة العقيدة ووحدة الصف والهدف والمبدأ. فقلوبهم على قلب رجل واحد، متفقة على مبدأ ومنهج واحد فأنى لهم الفشل! ومن أين والقرآن يتنزل عليهم؟ ﴿**وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الأنفال٤٦].

وعندما حصل النزاع والاختلاف والافتراق بين أتباع هذه الأمة –ولازال التاريخ يسجل لهم ذلك– كان من نتيجته ما حكاه الله تعالى: (فتفشلوا وتذهب ريحكم)، فرتّب على تنازعهم واختلافهم؛ فشلهم وذهاب هيبتهم. وهذا والحمد لله ما حدث للخوارج من قبل فلقد عُرف الخوارج عبر التاريخ بقوة العزيمة وشدة البطش، وعظيم الإخلاص لأفكارهم والتفاني لها، لكن مع ذلك كان يكثر بينهم الخلاف والنزاع لأتفه الأسباب، وكان هذا من عوامل هزائمهم المتكررة، وقد فطن لذلك الكثير من قادة الأمويين، فكان يبعث إليهم من يبث الخلاف بينهم لتفريقهم وإضعافهم، فيُكفى مؤنة حربهم وقتالهم. وبالمثل فكان من عواقب التنازع والاختلاف والافتراق فشل المسلمين في تكوين وحدة فيما بينهم وإن زعموا ذلك، فسرعان ما تنهار وحدتهم مقابل القوميات التي يتبجحون بها ويلوكونها بألسنتهم، لأنها وحدة بلا أساس قوي، وبلا أصول تجمع الشتات وتلم الشمل. ولا أدل على ذلك من اجتماع الدول العربية في سنة١٩٤٨م للحرب ومع ذلك تهزم جميعها أمام حفنة من عصابات اليهود لتفرقهم وتنازعهم، وكان من عواقب التنازع أيضاً ذهاب هيبتهم بعدما كانوا هم الأقوياء وغيرهم الضعفاء، وهم الأعزاء وغيرهم الأذلاء، فذهبت هيبتهم أمام أعداء الله؛ لأنهم خالفوا ما أمرهم الله تعالى به: ﴿**وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ**﴾.

[٢] التنازع والتفرق يُفقد الناس والأمة الشعور بوحدة الجسد ووحدة الهم ووحدة المصير، مما يحدو بكل طائفة أن تتصرف بمفردها بمعزل عن الأمة ، وربما أدى ذلك التصرف الانفرادي إلى مآس تعود على الأمة جمعاء بآثارها وتبعاتها المدمرة كما حدث لها من التتار عند اجتياح المغول للأراضي الإسلامية واستنجد السلطان محمد خوارزم بالخليفة العباسي الناصر فما نصره ولا انتصر لدينه ولا لإسلامه، بل ترك المغول يجتزون الدولة الخوارزمية المسلمة من جذورها، وسرعان ما هزمهم جنكيز خان ثم أخذ مدنهم وحرقها، وبدأ باجتياح العالم الإسلامي كله حتى وصل إلى الخلافة العباسية نفسها سنة ٦٥٦هـ فلم تنفعهم أموالهم ولا جنودهم، حتى الخليفة دهسوه بالأقدام، وكانت القتلى بالملايين، كل ذلك حدث لأنهم قدموا الفرقة والتنازع على الوحدة والاجتماع، فبأي وجه يقابلوا الله عز وجل وفي رقابهم كل هذه الدماء وهذا الفساد الذي لحق بالمسلمين على أثر هذه الفرقة والتنازع والذي قد دمر أكثر من ثلثي العالم الاسلامي بسبب أنهم لم يلتفتوا لقوله تعالى {واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا}، وليست الأندلس بمنأى من هذا أيضا فبعد انهيار الخلافة الأموية في قرطبة في القرن الحادي عشر الميلاد؛ انقسمت الأندلس إلى عدد كبير من الدويلات الصغيرة، وكل دويلة كانت تحت حكم عائلة أو زعيم محلي وهم ملوك الطوائف، وهذه الفترة كانت مليئة بالصراعات الداخلية والتناحر بين الممالك الصغيرة هذه، وكل حاكم كان يسعى لتوسيع نفوذه على حساب الآخرين، مما أدى إلى سلسلة من الحروب الداخلية حتى لجأ بعض ملوك الطوائف إلى الاستعانة بالقوات المسيحية لمساعدتهم في صراعهم ضد منافسيهم المسلمين. وهذا التحالف مع القوى الخارجية أدى إلى تدخل المسيحيين في الشؤون الداخلية للأندلس، مما أدى إلى الضعف العام للأندلس كلها، وهذا التفتت السياسي أدى إلى ضعف التضامن الإسلامي في مواجهة التهديدات الخارجية حتى سقطت الأندلس كاملة من تاريخ المسلمين إلى الأبد. وليس الواقع عنا ببعيد فهذه سوريا التي دمرها التنازع والتفرق تمرع فيها إسرائيل ذهابا وإيابا دون رادع أو محاسب، وهذه غزة

التي أصبحت خاوية على عروشها بعد أن دمرت بالكامل وقتل أكثر من خمسين ألفا من أبنائها ونحن ننظر ونشاهد القتل والتدمير بأعيننا ولا منقذ ولا مجيب وإنا لله وإنا إليه راجعون.

[٣] تعطيل الجهاد في سبيل الله: فقد حث الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين على الجهاد في سبيله وأمرهم بالقيام به، وبيّن لهم أن الاعتصام بحبل الله المتين هو الطريق الوحيد للجهاد، والفرقة والاختلاف أكبر عائق له. والجهاد في سبيل الله لا يقوم إلا على أكتاف أمة معتصمة بحبل الله، مجتمعة الكلمة، متحدة الهدف والغاية، ولا يمكن أن يقوم على كواهل طوائف متفرقة، مختلفة في عقيدتها وأهدافها وغاياتها، بل إن هذه الطوائف جديرة بفتح سوق النزاع والشقاق والحروب بعضها مع بعض بدلاً من حروبها مجتمعة على غيرها، فلا جهاد بدون وحدة واجتماع، ولا وحدة بدون أصول تجمع الشتات وتلم الشعث، وعندما ضعفت هذه القاعدة، واستمسك أبناء هذه الأمة بحبل القوميات والنعرات الجاهلية، وابتعدوا عن حبل الله المتين، حصل التفرق والافتراق، ونتج عن ذلك أن خاصم أبناؤها بعضهم بعضا، وقاتل بعضهم البعض؛ فضعف شأن الأمة .. فتداعت عليهم الأمم من كل حدب وصوب، فبعد أن كانت أمة مجاهدة وصلت في فتوحاتها من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب.. صارت أمة ضعيفة يطمع فيها أعداؤها بين كل لحظة وأخرى. ولا أدل على ذلك أكثر مما حدث للمسلمين في بداية أمرهم من الخلاف والتنازع والفرقة التي حدثت في عهد الخليفة الثالث علي بن أبي طالب حينما كانت الفتوحات وصلت إلى المحيط الاطلنطي غربا وإلى قلب قارة آسيا شرقا، فمعظم هذه البلاد ارتدت عن الطاعة، وارتد أهلها عن الاسلام نفسه كما حدث في شمال غرب إفريقيا، حتى تقهقر الاسلام إلى مصر بعد أن وصل إلى حدود الأطلسي غربا، وأخذ الصليبيون والمغول أرضهم، وفك السلطان العثماني حصاره لقلب القارة الأوربية من أجل الخيانة الدينية المتمثلة في الدولة الصفوية، وغيرها الكثير والكثير.

[٤] إتاحة الفرص لاحتواء بعض الرموز أو بعض الجماعات أو بعض الدول من قِبل أعداء الأمة والانفراد بها؛ إغراء وإغواء، على مثل ما حدث في محنة الصحابي الجليل كعب بن مالك، في محنة التخلف عن غزو الروم، وقد هجره المسلمون فيمن هجروا من المتخلفين عن تبوك بأمر رسول الله ﷺ حتى يقضي الله فيه أمره، فكتب إليه –وهو في هذه الحال العصيبة، وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم– ملك غسان: أما بعد، فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك. ولكن كعب كان من الإيمان بحيث أنه يمم بها التنور، ومن الآن مثل كعب، وفي ثبات كعب بن مالك وإيمانه، وقليل ماهم. إنها فتنة وبلاء وابتلاء لا يقوى عليه إلا الموفقون، ومن هنا يبرز مغزى قوله ﷺ: "**عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد**"(١).

[٥] التنازع والتفرق يُشغل الأمة عن همومها العظام، وتحدياتها الجسام، وتستمرئ الأمة حرباً طاحنة فيما بينها، حتى يأكل بعضها بعضاً، ويلعن بعضها بعضاً، فتنشغل عن معالي الأمور ومتطلبات الريادة والسيادة، وتضيع كثير من الواجبات الدينية، وأصدق مثال على هذا ما يحدث الآن في اليمن الذي هو نتيجة الانقسامات والصراعات العقائدية منذ القدم، وما حدث في لبنان من حروب طائفيه، وما حدث ولا زال في العراق من الحروب الطائفية بين الشيعة والسنة، والتي أدت في النهاية إلى خراب العراق واستيلاء الدولة الشيعية عليه وعلى البلاد التي حوله أيضا، وليس ما يحدث في سوريا الآن منا ببعيد وانا لله وانا اليه راجعون. فكان الأولى أن توجه هذه الجهود والطاقات نحو البناء والتنمية ومواجهة

(١) الجامع الصحيح فيما كان على شرط الشيخينِ أو أحدهِما وَلم يُخَرجَاهُ، أبو عبد الرحمن، يوسف بن جودة يس يوسف الداودي، الناشر: دار قباء للطباعة – القاهرة ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م،ج٢ ص١٥٦.

الأعداء الذين يدورون حول الأسوار ويلوذون بالأبواب؛ يتحينون الفرص، ويرقبون الصيد، عسى أن يفوزوا منه بغفلة. فمن الخيانة للأمة أن يُحمى الوطيس، وتُنصب المناجيق، ويتقاذف الناس بكلمات هي أشد من الحجارة، وأنكى من السهام من أجل مسائل تحتمل أكثر من وجه وتقبل أكثر من تفسير، فهي من مسائل الاجتهاد، التي دلت على سعة هذا الدين ومرونته، المصيب فيها مأجور والمخطئ فيها معذور، وخطؤه فيها مغفور، بل هو –بنص الحديث– مأجور. ولهذا كان من الواجب على الدعاة والمفكرين الإسلاميين أن يشغلوا جماهير المسلمين بهموم أمتهم الكبرى، ويلفتوا أنظارهم وعقولهم وقلوبهم إلى ضرورة التركيز عليها والتنبيه لها، والسعي الجاد ليحمل كل فرد جزءاً منها، وبذلك يتوزع العبء الثقيل على العدد الكبير، فيسهل القيام به.

[٦] الافتراق والتحزب يؤكد ما يقوله المستشرقون أن العالم الإسلامي لم ينعم بالهدوء إلا صدراً من جيل الخلافة الراشدة، وبعدها تعرضت دولة الإسلام إلى النزاعات والصراعات الداخلية التي لم تنقطع، وربما ربطوا ذلك ـ ظلماً وزوراً ـ بطبيعة الدين نفسه، وقد اشتهرت صراعاتنا السياسية على كافة المنابر وعلى الملأ حتى شاعت مقولة: اتفق العرب على أن لا يتفقوا، والعرب رحى الإسلام ومصدر قوته.

[٧] الافتراق والتعادي يَحرم الأمة من محاسن الاختلاف، وهو ما يعبر عنه باختلاف التنوع، وهو ثروة علمية ضخمة تميز بها التراث الإسلامي عامة والفقهي خاصة، وهذا يدل على قوة إبداع، وعمق تفكير، وتوفر مساحة واسعة ومتنوعة من الآراء والاجتهادات تستفيد منها الأمة في مواجهة مستجدات الحياة المعاصرة، وتنوعها، وتفاوتها من بلد إلى بلد، ومن بيئة إلى بيئة، ولقد اشتهر عن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قوله: "ما أحب أن أصحاب رسول الله

ﷺ لم يختلفوا؛ لأنه لو كانوا قولا واحدا كان الناس في ضيق وأنهم أئمة يقتدى بهم، فلو أخذ رجل بقول أحدهم كان في سعة"(١).

[٨] التنازع والتفرق يصيب البعض بالإحباط والتثبيط فينزوي بعيدا، وينكفئ على نفسه مؤثراً السلامة كما تزيّن له نفسه، فتُحرم الأمة من خيره وجهده وإضافاته، وربما كان أسوة سيئة، ونموذجاً سلبياً لغيره، فيقوى تيار الانعزال والانزواء، فتجمد حركة الأمة، ويضعف رصيدها في مجال الإبداع والتقدم، ومن ثم حرمان المجتمع من مشاركتهم في الخير والإصلاح.

[٩] لولا التنازع والتمزق لما تسنى لأحد أن يملي على الأمة ويفرض عليها خيارات تخالف دينها ومصالحها ومستقبلها، لكن ما حيلة الضعيف إلا أن يخضع لإرادة الأقوياء، ومن خلال ذلك مررت ما يسمى بمشاريع التسوية الظالمة والهاضمة للحقوق في بلاد المسلمين من فلسطين والبوسنة والعراق والسودان وغيرها، فتقدم التنازلات، وتنتزع الاعترافات، بل وأحياناً تقدم المبادرات والتبرعات لاسترضاء العدو الغاشم، أو للحصول على صك البراءة من تهمة الإرهاب ونحوه، بل للتطبيع مع الأعداء قسرا لمجرد الاسترضاء او لجلب المصاح ودفع المضار.

[١٠] ومن أبشع مظاهر الافتراق التخاذل المتبادل بين أفراد الأمة وجماعاتها ودولها وحكوماتها، وأن يُسلم بعضهم بعضاً إلى الأعداء والفتن، بل والتحرش بهم، وتهييج الأعداء عليهم؛ نكاية ووشاية وشماتة، ولا أدل على ذلك مما حدث في عهد الاحتلال الصليبي أو الحروب الصليبية من تعاون بعض الدول العربية أو الممالك العربية بالصليبيين على إخوانهم المسلمين، بل حتى في عهد اجتياح المغول للأراضي الإسلامية؛ كان هناك من يعاونهم على إخوانه في العقيدة، بل على بلاده لأنهم سنة وهم شيعة أو العكس وإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) جامع بيان العلم لابن عبد البر النمري: ج٢/١٦٠ص٠مؤسسة الريان – دار ابن حزم،الطبعة الأولى ١٤٢٤-٢٠٠٣ هـ.

[١١] إضعاف الثقة بالعلماء والحكام والأمة، بل بالإسلام نفسه ومناهج العاملين والداعين إليه، فقد جرت عادة الناس في الربط بين الداعي ودعوته نجاحاً وفشلاً، ومن ثم إتاحة الفرصة لظهور تيارات من التشكيك والدعوة للانسلاخ من الدين على نحو ما ظهر في أوربا المسيحية في مقدمات العصر الحديث حينما انسلخوا عن قبضة الكنيسة، فانظر كم يجني أهل التنازع على الأمة ودينها ورسالتها.

[١٢] إشاعة روح التفرق والتمزق، وبروز المزيد من النحل والطوائف المتناحرة، بل جرت العادة أن التيار الواحد ينقسم على نفسه مرات ومرات، حتى خرج تعدادها عن المألوف وتجاوزت المعروف، وبعضها يقوم وليس لها من مبرر؛ فإن اختلف ثلاثة مع جماعة شكلوا جماعة أخرى، وإذا فصل خمسة من تنظيم أنشأوا تنظيما جديداً، وإن طردت مجموعة من حركة كونت حركة تصحيحية! بيد أنه كان لتعدد الطوائف في الماضي مبررات، قد تكون محل نظر، وقد يكون لأصحابها أدلة شرعية معتبرة، واجتهادات مبررة، ومع هذا فقد كان هؤلاء متخلقين بأدب الخلاف وقيمه لا يخرجون عنه، أما اليوم فقد بات الخلاف خلافاً بلا أدب، واختلافاً بلا علم، وتكاثراً بلا مبرر، إنما هو التنافس على المغانم، والتنصل والهروب من المغارم، والتهافت على الدعاية والأضواء، والإقبال على الأخذ، والإدبار عن العطاء، فيتهاون الجميع بمخاطر التفرق، بعد أن يكون قد ركبهم الهوى واستبد بهم الغرور وحب الذات، لا يعظمون حرمة، ولا يرقبون في أمتهم إلاً ولا ذمة.

[١٣] تشويش الفهم الصحيح للدين في عيون الغرب فيبتعدون عنه ويكرهونه، فالتفرّق يسبب تباينًا كبيرًا في الفهم والتفسير للنصوص الدينية، مما قد يؤدي إلى بروز بعض الأفكار المتطرفة أو المغلوطة حول الإسلام، ويعزز من تباين المواقف تجاه قضايا جوهرية في الدين، ومن ثم إضعاف الدعوة الإسلامية نفسها فعندما تنقسم الأمة يصبح من الصعب نشر الدعوة الإسلامية بشكل موحد،

فالتفرّق يؤدي إلى ضعف تأثير الدعوة على المستوى العالمي ويقلل من تأثيرها على غير المسلمين، مما قد يؤدي إلى ضعف وتقويض الهوية الإسلامية الموحدة لدى بعض الأفراد والجماعات.

[١٤] وشيوع التفرق يعزز تأثيرات الغزو الثقافي والتقليدي، فالتفرّق في الأمة الإسلامية يؤدي إلى تباين كبير في العادات والتقاليد بين مختلف الدول الإسلامية، مما يجعل من الصعب على المسلمين التفاعل مع بعضهم البعض على مستوى ثقافي موحد. بل إن بعض الدول الإسلامية أمست تحت تأثير الغزو الثقافي الغربي بسبب ضعف التنسيق الثقافي بينها وبين بقية الدول الإسلامية أو التنازع بينهم، وما المغرب وتونس والجزائر منا ببعيد. وهذا يؤدي إلى تراجع القيم الإسلامية التقليدية لصالح القيم الغربية، مما يعزز من تآكل الهوية الثقافية الإسلامية.

[١٥] ومن الآثار المحزنة أيضا للتفرق ضعف التضامن الاجتماعي بتثبيط العزائم وسوء الظن بالآخرين، واتهام النوايا وتتبع عثرات الآخرين وصد الناس عن سبيل الهدى، وتناكر القلوب واحتقان النفوس بالبغضاء والشحناء حتى لا يكون فيها مكان للود ولا للتراحم الذي أمر بهم الإسلام، فعندما تنقسم الأمة، يفقد المسلمون الشعور بالمسؤولية المشتركة تجاه بعضهم البعض وبالتالي، تقل مظاهر التضامن الإسلامي التي كانت بارزة في العصور الإسلامية السابقة.

[١٦] ومن الآثار المادية للتفرق: التفاوت الاقتصادي بين الدول الإسلامية، فالتفرّق يؤدي إلى انتشار الفقر والبطالة في بعض الدول، حيث تفشل بعض الحكومات في توفير الاحتياجات الأساسية لشعوبها بسبب ضعف التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية؛ وعدم الاستفادة من الموارد المشتركة فالعالم الإسلامي يمتلك العديد من الموارد الطبيعية (مثل النفط والمعادن)، ولكن بسبب التفرّق وعدم التنسيق، لا يتم استغلال هذه الموارد بشكل مشترك يحقق مصلحة

الجميع. وهذا يؤدي إلى فقر بعض الدول الإسلامية على الرغم من وجود ثروات طبيعية ضخمة بها.

[١٧] والتفرق يؤدي لغياب بركة الاجتماع وانتزاعها من الأمة بأسرها، فيد الله مع الجماعة والله يحب الناس مجتمعين دائما، فإذا تفرقوا وكَّلهم الله لأنفسهم؛ فتضعف المؤسسات التي تحاول أن تجمع الأمة الإسلامية مثل جامعة الدول العربية ومنظمة التعاون الإسلامي وغيرها.

وبعد فهذه أهم المظاهر والآثار المترتبة على تفرق الأمة الإسلامية. والله نسأل الإخلاص في القصد، والسداد في القول، والرشاد في العمل، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً.

الخـاتمة

لقد توصلت بفضل الله تعالى من دراستي لموضوع البحث إلى النتائج التالية:

- ❖ أن الافتراق العقدي وقع بالفعل في الأمة الإسلامية، وتشهد به العقول والأزمنة والأمكنة من نهاية عصر الخلافة الراشدة حتى الآن، وأنه كان فُرقة وليس اختلافا، وذلك تصديقا وإعجازا لكلام النبي ﷺ من الأحاديث الواردة الكثيرة الصحيحة في هذا المضمار.
- ❖ أن الفرق الإسلامية التي افترقت عن طريق أهل السنة والجماعة ليست بكافرة بدليل قول الامام علي رضي الله عنه إخواننا بغوا علينا.
- ❖ اختلاف الأجناس والألوان والأوطان واللغات والطبقات والثقافات ليس بالضرورة عامل تفريق وتنازع، بقدر ما هو عامل تعارف وتكامل وتكافل وإثراء، فالله لم ينهنا عن الانتساب لقبائلنا وأوطاننا ونحو ذلك، وإنما نهانا عن التعصب لها فالتحزب والتفرق آليتان لإحياء أهوائية العصبية.
- ❖ أن الافتراق يبث الحقد والكراهية بين الأطراف المتحزبة، فكل طرف يتربص بخصمه الدوائر، لإضعافه والإيقاع به، تحقيقا لمكاسب حزبية واجتماعية وسياسية، باستخدام مختلف الوسائل الممكنة، جاعلا الأخوة الإسلامية في مواجهة تحد خطير.
- ❖ ترك التفرق آثارا مدمرة على الأفراد والجماعات والعمران، وميّز كل حزب وفرقة، فأفسد بذلك الأفكار والمشاعر والسلوكيات، فالتفرق أهواء تمزق أواصر الوحدة وتعكر صفو الإخاء.
- ❖ أن التفرق والتحزب عمية أهوائية صارخة، تخالف منهج القرآن في تسيير الأمة في الوجود الإنساني، وهما يخالفان الاعتقاد الصحيح لأنهما يورثان العجب بالباطل وهما دليل سقوط الأديان قديما، ويفرزان تعصبا مذهبيا وصراعا عقديا، وخلعا للثوابت الإيمانية بفقدان الهُوية والفصام الثقافي.

- التنازع هو أحد أسباب الهزيمة الرئيسة، كما أن تجنبه من أسباب النصر الرئيسة، وهو يُشغل الأمة بنفسها عن مهمتها الرسالية في الدعوة إلى الخير، ولا يتنازع الناس إلا بسبب تعدد القيادات، وبسبب الهوى، حينما يجعل كل واحد من نفسه قائداً وموجهاً ولا يقبل من غيره ذلك، أما مجرد اختلاف أوجه النظر في المسألة الواحدة فليس من أسباب التنازع؛ لو تجرد صاحب النظر عن الهوى والإعجاب بالنفس.
- أن الاعتصام والاجتماع منّة من الله تعالى على عباده، تتحقق بطاعته وطاعة رسوله والاستمساك بحبله المتين، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- من أبشع أنواع الافتراق، الافتراق بعد معرفة الحق، وهذه علامة الهوى، ودلالة العجب، وشارة البطر.
- كان أكبر عاملين لافتراق الأمة الإسلامية الجهل ومكر الاعداء بها، وخصوصا اليهود، فالتفرق عمية تخدم الصهيونية (فرق تسد).
- تقدير الأعداء لمكانة الجماعة والاجتماع، والوحدة والاتحاد، ولهذا يعملون على تقويضها لدى المسلمين، ويسعون في سبيل ذلك سعياً حثيثاً.
- أن من وسائل الأعداء الخبيثة والخبيثة في حرب المسلمين؛ ضرب وحدتهم وتفتيت جماعتهم، وذلك ببعث نوازع الفرقة بينهم؛ من اختلافات دينية أوطائفية أومذهبية أوعرقية أوقومية أوتاريخية أوغيرها.

التوصيات:

- إصلاح الفكر الديني، بالتعليم الديني الصحيح والتقريب بين المذاهب ونبذ التعصب.
- تعزيز العمل المشترك بين الدول الإسلامية بتعزيز دور المنظمات الإسلامية في تحقيق التعاون الفعّال.

- ❖ التصدي للتدخلات الخارجية وضرورة استقلالية الدول الإسلامية عن القوى الغربية.
- ❖ الحوار بين الأديان وضرورة تعزيز الحوار بين المذاهب والطوائف المختلفة في العالم الإسلامي.
- ❖ العمل على حل الصراعات الداخلية وتقديم حلول للنزاعات العرقية والطائفية في بعض الدول الإسلامية.
- ❖ البحث عن سبل متطورة لإعادة الوحدة الإسلامية والتأكيد على أهميتها في مواجهة التحديات الخطيرة.

قائمة المصادر والمراجع

ابن الأثير: علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت٦٣٠هـ)

- اللباب في تهذيب الأنساب، تح:عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية. ط٢–بيروت–١٤١٥هـ.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر – بيروت– ١٩٨٩م.

ابن الأثير الجزري: مجد الدين أبو السعادات المبارك الجزري (ت٦٠٦ هـ).

- جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ط١، مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان ١٣٨٩هـ ،١٩٦٩ م
- النهاية في غريب الحديث والأثر، المطبعة العثمانية، مصر ١٣١١هـ .

ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت٥٩٧هـ)

- تلبيس ابليس– دار القلم– بيروت لبنان، ١٤٠٣هـ.

ابن العماد: عبد الحي بن أحمد الحنبلي (١٠٣٢–١٠٨٩هـ).

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتبة التجارية، بيروت، بلا تاريخ.

ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد التميمي (ت ٣٥٤هـ).

- صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

ابن حجر: أحمد بن محمد بن علي العسقلاني(٧٧٣ – ٨٥٢ هـ).

- فتح الباري شرح صحيح البخاري،تح:طه عبد الرؤف سعد، دار الغد العربي، ط١ ،١٩٩٢م.

ابن حزم: أبو محمد على بن أحمد (ت٤٥٦هـ).

- الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة ط ١٤٠٥ هـ– ١٩٨٥م

ابن حنبل: احمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني (ت ٢٤١هـ).

- المسند، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ -٢٠٠١م.

ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة (ت ٣١١هـ).

- صحيح ابن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م

ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت ٧٥١هـ).

- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مطبعة الحلبي، القاهرة. مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار، الكويت ط٢٧/ ١٤١٥هـ /١٩٩٤م

ابن ماجه: أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣ هـ).

- السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى الحلبي بمصر، ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م.

ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ).

- لسان العرب المحيط، دار صادر، بيروت ١٩٥٥م.

الآجري: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ).

- الشريعة، تح اسماعيل بن محمد الأنصاري، رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م.

الأشعرى: الإمام أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري (ت٣٢٤هـ)

- مقالات الإسلاميين، تحقيق:محمد محى الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى،١٣٦٩هـ،١٩٥٠م.

البخاري: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن المغيرة (ت ٢٥٦هـ)

- الصحيح، شرح وتحقيق قاسم الشماعي الرفاعي، دار الأرقم، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩٧م

البغدادي: أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي (ت ٤٢٩هـ)

- الفرق بين الفرق– دار الآفاق الجديدة ببيروت، ط٢/ ١٩٧٧.

البيهقي: أبو بكر احمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ) .

- السنن الكبرى، دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ.
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد–دار الفضيلة الرياض١٩٩٩م

البهي: الدكتور محمد البهي (١٩٨٢م)

- الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي– دار الكتاب العربي ببيروت.

الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ) .

- السنن، تحقيق احمد شاكر وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

الجرجاني: على بن محمد السيد(ت١٨١هـ).

- التعريفات– دار الكتب العلمية– بيروت لبنان، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ – ١٩٩٨م).

الحاكم: أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ).

- المستدرك على الصحيحين في الحديث، مطبعة مجلس دائرة المعارف النعمانية، حيدر أباد الدكن الهند ، ١٣٤٢هـ .

الدارقطني: علي بن عمر الدار قطني (ت ٣٨٥هـ).

- السنن، مطبعة الأنصاري ، دلهي، الهند ١٣١٠هـ.
- منهاج السنة النبوية، تحقيق محمد رشاد سالم ، دار الثقافة ، الرياض ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م

الذهبي: أبو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ).

- تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٥٨م.
- سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٢م

الزبيدي: محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ).

- تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية ، القاهرة ١٤٠٦هـ.

الشاطبي: إبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)

- الاعتصام، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية/ط١- ١٩٩٢م
- الموافقات،تح:أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان،ط١ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

الشوكاني: محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٥هـ) .

- فتح القدير-دار ابن كثير- دار الكلم الطيب – دمشق- بيروت ط١/١٤١٤هـ.
- نيل الاوطار شرح منتقى الأخبار ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ١٣٤٧هـ .

الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ) .

- الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة، بيروت

الصنعاني: محمد بن إسماعيل الأمير (ت ١١٨٢هـ) .

- سبل السلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بلا تاريخ .

الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم (المتوفى: ٣٦٠هـ)

- المعجم الكبير /تح حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة/الط٢، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م.

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ).

- تاريخ الأمم والملوك، دار الفكر، بيروت بلبنان ١٩٨٧م.

الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ).

- القاموس المحيط، دار المأمون، القاهرة ١٣٥٧هـ.

النسائي: أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب (ت ٢٧٩ هـ).

- سنن النسائي وبهامشه شرح الحافظ السيوطي، وحاشية السندي، المطبعة المصرية، بلا تاريخ.

النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ هـ).

- شرح صحيح مسلم، المطبعة المصرية، ١٤٧هـ/ ١٩٢٩م.

المَلَطي: أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن (المتوفى: ٣٧٧هـ)

- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، المحقق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث – مصر.

المقريزي: أحمد بن علي عبد القادر المقريزى (ت ٨٤٥هـ)

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار– دار الكتب العلمية– بيروت،ط١/ ١٤١٨هـ.

الفخر الرازي: محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)

- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين– مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٨م.

القرطبي: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري (ت: ٤٦٣هـ)

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب تح: علي محمد البجاوي، دارالجيل، بيروت، ط١–١٩٩٢ م

الإمام عبد الحليم: د.عبدالحليم محمود (ت١٩٧٨م)

- التفكير الفلسفي في الإسلام، دار المعارف. ط٢ ، ١٩٨٧م

البغدادي: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (ت٤٢٩هـ).

- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية – دار الآفاق الجديدة ببيروت،الطبعة الثانية/١٩٩٧م.

علي سامي النشار:

- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام،ط٧، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨ م.

د.عوض الله حجازي:

- في الفلسفة الإسلامية وصلتها بالفلسفة اليونانيه/دار الطباعة المحمدية بالقاهرة/ الطبعة الثانية.

الإمام مسلم: مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)

- الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت ،ط١ ١٩٥٥م.

د. جميل تعيلب:

- لمحات من تاريخ الفرق، كتاب جامعة الأزهر،قطاع أصول الدين.

د. صابر طعيمة:

- دراسات في الفرق، مكتبة المعارف بالرياض، ط ١٤٠٧هـ..

د.عبد السلام عبده:

- تأملات في التراث العقدي للفرق الكلامية (الخوارج)، دار الكتاب الجامعي، القاهرة.

د. سليمان دنيا:

- التفكير الفلسفي الإسلامي،مكتبة الخانجي بمصر توزيع مكتبة الرشاد بالدار البيضاء بالمغرب،ط١ ، ١٩٦٧م.

محمد أبو زهرة:

- تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، مطبعة السعادة بالقاهرة

محمد رشيد رضا: وآخرون (المتوفى: ١٣٥٤هـ).

- مجلة المنار/مجلد١٣.

فهـرس الموضـوعـات

م	الموضوع	صـ
١-	المقـدمـة :.....	٢٢٥
٢-	التمهيد: مفهوم الفرقة والاختلاف والفرق بينهما :.....	٢٢٨
٣-	المبحث الأول: حديث الافتراق :.....	٢٣١
٤-	المبحث الثاني: تاريخ الافتراق في الإسلام :.....	٢٤١
٥-	المبحث الثالث: أسباب تفرق الأمة الإسلامية :.....	٢٥٣
٦-	المبحث الرابع: مظاهر وآثار الافتراق على صعيد الأمة الإسلامية	٢٧٥
٧-	الخاتمة :.....	٢٨٦
٨-	المصادر والمراجع :.....	٢٨٩
٩-	فهرس الموضوعات :.....	٢٩٥